

لفضيلة الشيخ
عبدالله بن أحمد قادري
المدرس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

ومعها موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي

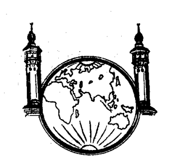
للدكتور إبراهيم جعفر السقا الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين



نقلت هذه النسخة من نسخة الجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية .

الطبعة الأولى بمكتبتنا
ذو القعدة ١٤٠٩ هـ

جمعية الوقف الإسلامي
١٤ شارع بستوريوس
٥٧٠١ ن س ـ هليموند
هاتف / ٠٤٩٢٠ ـ ٤٢٧٨٨
فاكس ٠٤٩٢٠ ـ ٤٦٣٧٤



STICHTING ALOUAKF
ALISLAMI
PISTORIUS STR. 14
5701 N.C. HELMOND HOLLAND
Tel.: 04920 - 42788
Fax: 04920 - 46374

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونشكره ، ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونسآءً واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

أما بعـد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

وبعد فإنه لما يسعد مكتبة منار السبيل أن تضع بين يدي قرائها الكرام باكورة أعمالها ، راجية من الله جل وعلا أن يبارك في مسيرتها ، وأن يسدد على الحق خطاها ، وأن تنال إعجاب السادة القراء ، وتقدم لهم دائماً الجديد والمفيد في عالم الكتاب .

والكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم هو في الأصل محاضرة قيمة أُلقيت في الموسم الثقافي ١٣٩٤هـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية . تناول فيها مؤلفها الأستاذ عبد الله قادري – بأسلوب سهل رصين – قضية من أخطر القضايا على المجتمع الإسلامي ، ألا وهي قضية الردة .

بيّن الأستاذ عبد الله قادري معنى الردة ، وخطر الارتداد عن الإسلام ، وأقسام الردة ، ولمحة عن سيرها عبر التاريخ الإسلامي ، ولم يفته أن يذكر أركان الردة ، والأساليب التي يتخذها أعداء الدين لإبعاد المسلمين عن دينهم الحنيف ، ويدعو فضيلته للتصدي لهذه الهجمات ويذكر صوراً تبين أثر هذه الهجمات المعادية للدين الحنيف .

فمن منكرٍ لوجود الله عز وجل ، ومنكرٍ لأسمائه وصفاته أو مستهزيءٍ بها ومن معطٍ حق التشريع لغير الله فيما لم يأذن به الله . إلى غير ذلك ثم يذكر شروط الردة .

وقد ارتأينا أن نلحق بهذا الموضوع موضوعا آخر وثيق الصلة به ، ألا وهو « موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي » ، وهو محاضرة قيمة ألقاها الأستاذ إبراهيم جعفر السقّا الأستاذ بالجامعة الإسلامية في الموسم الثقافي ١٣٩٦ هـ .

وختاماً نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة دينه واتباع نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ومن الله نستمد العون ونستلهم الرشاد

إدارة مكتبة منار السبيل



« إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

« يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تُقَاتِهِ ، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون» ،«يآ أيها الناس اتقوا ربَّكُمْ الذي خلقكم من نفسٍ واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً» .

«يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلِحْ لكم أعمالَكم ، ويغفرْ لكم ذُنوبَكُم ، ومن يطعِ اللهَ ورسولَهُ فقد فاز فوزاً عظيماً» .

أما بعد ، فإن أكبر نعم الله على عبده أن يهديه للإيمان ، ويشرح صدره للإسلام ، وأن يديم عليه تلك النعمة حتى يلقاه وهو على ذلك .

كما أن أعظم الخسارة في الدنيا والآخرة أن يدخل الإنسان في دين الله ويذوق حلاوته ، ويستضيء بنوره ، ثم يخرج مختاراً من النور إلى الظلمات فيترك دين الله ، ويدخل في دين الشيطان ، أياً كان ذلك الدين ، فيرتد على عقبيه بعد أن كان على نهج سوي : «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم» ،وقد دعاني ذلك الفضل العظيم ، وهذا الشقاء المهلك أن يكون موضوع هذه المحاضرة : (الردة وخطرها على المجتمع الإسلامي) .

١
تعريف الردة

الردة في اللغة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه ، وفي الاصطلاح : « رجوع المسلم عن الإسلام إلى الكفر » ، والارتداد بمعنى الردة ، إلا أنه يستعمل في الكفر وفي غيره بخلاف الردة فإنها مختصة بالكفر . قال تعالى : « من يرتد منكم عن دينه » ، وقال : « فارتد بصيرا » .

ويظهر من التعريف أن الردة قد تحصل بالقول والفعل والاعتقاد ، إلا أن الاعتقاد إذا لم يطلع عليه بإظهار صاحبه ما يدل عليه لا يمكن الحكم على صاحبه في الظاهر بالردة .

ولا عبرة بمن خص الردة بالنطق بالكفر ، بدليل حكم العلماء على من رمى المصحف بقذر بالكفر ، وغير ذلك كثير كما سيأتي إن شاء الله .

٢
مايشمله اسـم الإسلام

لا أريد الخوض – هنا – في الفرق بين الإسلام والإيمان ، ويكفي أن أشير إلى أن الصحيح من أقوال المحققين أنه إذا انفرد أحدهما دخل فيه الآخر ، وإذا اجتمعا فيراد بالإيمان الإعتقاد القلبي ، وبالإسلام الأقوال والأعمال الظاهرة ، وحديث جبريل المشهور واضح في هذا المعنى .

والذي أريد توضيحه هو : أن الإسلام يطلق إطلاقين في الشرع :–

الأول: عام يراد به : الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك ، وهو بهذا المعنى دين جميع الرسل وأهل السموات ، وأهل الطاعة ، في الأرض . كما قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقال : « ووصى بهآ إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يا بَنِيَّ إن الله أصطفىٰ لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون » . والآيات في هذا كثيرة .

الإطلاق الثاني : يراد به ذلك ، ومعنى خاص هو : التفصيلات التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم في كتاب الله ، والسنة المطهرة وهو بهذا الإطلاق يشمل الإيمان والعمل والنطق والأخلاق وغيرها .

فدين الله الذي أرسل به رسله واحد في أصوله الإيمانية والعملية – في الجملة – ثم تختلف شريعة كل نبي في تفاصيلها حسب المصلحة التي علّمها الله لكل أمة من الأمم ، والقاسم المشترك بينها تحقيق الخير للأمم في الدين والدنيا .

وقد نسخت شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم كل الشرائع السابقة ، وهيمن كتابنا على كل الكتب ، كما قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم أصول الدين الإيمانية والعملية في حديث جبريل المشهور ، ومن الأحاديث الدالة على شمول الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم : «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ».

قال السيد سابق : « الإسلام عقيدة وشريعة ، والعقيدة تنتظم الإيمان بالإلهيات والنبوات والبعث والجزاء . والشريعة تنتظم العبادات .. والآداب والأخلاق والمعاملات المدنية .. والروابط الأسرية .. والعقوبات الجنائية .. والعلاقات الدولية .. وهكذا نجد أن الإسلام منهج عام ينتظم شئون الحياة جميعاً » اهـ

قلت : ولهذا كان أحد عناوين :(معالم في الطريق) : « لا إله إلا الله منهج حياة » .

٣
من المســلم ؟

الداخلون في الإسلام أصناف :-

الصنف الأول من دخل في الإسلام، ولم يصل إلى درجة المعرفة بحقائقه ، لعدم تيسّر ذلك له ، وهو في واقع الأمر ملتزم بطاعة الله ورسوله ، بحيث لو أطلع على أمر أمتثله وإن أطلع على نهي أجتنبه ، ويمثل لهذا القسم بالداخلين في الإسلام حديثاً ، فهو مسلم ظاهراً وباطناً ، ولكنه ليس مؤمناً حقاً ، وعليه حمل بعض العلماء قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم»، وخالفهم آخرون في معنى الآية . (١)

الصنف الثاني : من دخل في الإسلام في الظاهر ، وهو في الواقع باقٍ على الكفر ، وهؤلاء هم المنافقون الذين قال الله عنهم : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين » .

الصنف الثالث : من دخل في الإسلام ، وعلم حقائقه ، وعمل بها ، وهذا هو المؤمن الحق

(١) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٧٥/٣٥١/٢٨٥/٢٣٨/٧)

الذي قال الله تعالى عنه : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » .

فالصنف الأول والثالث مسلمان ظاهراً وباطناً ، إلا أن الثالث مؤمن حقاً والأول ناقص الإيمان أو ليس مؤمناً حقاً ، أما الصنف الثاني فهو في الواقع كافر وإن أخذ أحكام الإسلام في الظاهر ، وكلهم أمام الردة سواء . (١)

٤
معنى الكفـــر

الكفر في اللغة : الستر والتغطية ، ولذلك سمي الفلاح : كافرا ، لأنه يستر البذر ويغطيه في الأرض ، كما يسمى الليل كافرا ، لأنه يغطي ما على وجه الأرض بظلامه ، قال الشاعر :ـ

يعلو طريقة متنـه متواتـرا ... في ليـلـة كَفَـرَ النجـومَ غمامُها

أما في الشرع فالكفر تغطية الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وأعلى هذا الحق توحيد الله تعالى ــ بالباطل الذي دعا إليه إبليس ، وأقبح ذلك الباطل : الإشراك بالله تعالى .

فالكافر هو الذي يغطي بكفره وجحوده توحيد الله تعالى وطاعته .

٥
أنواع الكفر

الخروج عن الإسلام قسمان : شرك وكفر ، وكل منهما قسمان : أكبر وأصغر ، فالكفر والشرك الأصغران لا يخرجان صاحبهما عن الإسلام ، ولكنه في خطر عظيم.والكفر والشرك الأكبران يخرجان صاحبهما عن الإسلام ويخلدانه في النار .

والكفر غالباً يكون عن تكذيب الرسل مع اعتقاد صدقهم ، قال تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » ، وقال : « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » . (٢)

---

(١) راجع المصدر السابق نفس الجزء وصفحاته المذكورة .

(٢) راجع مدارج السالكين (١/٣٣٥-٣٤٧) .

٦

الخروج من كفر إلى كفر

يتضح من تعريف الردة السابق الذكر : « خروج المسلم عن الإسلام إلى الكفر » أن الانتقال من كفر إلى كفر آخر لا يعتبر ردة . فهل الأمر كذلك ؟

اختلف العلماء في ذلك ، وهذه أقوالهم :-

١ - فذهب الحنفية والمالكية وبعض الشافعية إلى أن المنتقل من كفر إلى كفر يقر على ذلك ، ولا يعتبر مرتداً ، واستدلوا على ذلك بأمور :-

الأول : أن الكفر ملة واحدة كله . قال تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » وقال تعالى: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . » إلى أن قال : « لكم دينكم ولي دين ».

الدليل الثاني : أن الكافر إذا أعتنق كفراً آخر لو اعتبر مرتداً للزم إكراهه على الإسلام ، وذلك خلاف نص القرآن : « لا إكراه في الدين » .

الثالث : قوله صلى الله عليه وسلم : "لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث": - إحداها - : « التارك لدينه المفارق للجماعة » ، فقوله : « التارك لدينه » . بعد قوله : « امرىء مسلم » دليل واضح أن الدين الذي يعتبر تاركه إلى غيره مرتداً هو دين الإسلام . وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « من بدّل دينه فاقتلوه » .

٢ - وذهب الظاهرية وبعض الشافعية - وهو رواية عن أحمد - أنه لا يقبل من الكافر المنتقل إلى كفر آخر إلا الإسلام ، واستدلوا على ذلك بعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « من بدّل دينه فاقتلوه » ، وهو استدلال بعيد إذا تذكرنا ما مضى من استدلال أهل القول الأول .

٣ - وذهب بعض الشافعية أنهم لا يقرون على كفرهم الذي انتقلوا إليه إلا أنهم يرون أن يُنبذ إليهم عهدُهم ، ويخرجوا إلى دار الحرب ، فإذا ظفر بهم لا يُقبل منهم إلا الإسلام .

٤ - ويروى عن الإمام أحمد - وهو قول للشافعي - أنه إن انتقل من دين أعلى إلى دين أدنى ، كالنصراني أو اليهودي ينتقل إلى المجوسية فلا يقبل منه إلا الإسلام ، وإن انتقل من أدنى إلى أعلى أو إلى دين مساوٍ ،كالمجوسي يتنصر،والنصراني يتهوّد أقر على دينه الذي انتقل إليه . وهذا التفصيل لا دليل يسنده فيما أرى ، وكون أهل الكتاب يمتازون ببعض الأحكام عن غيرهم من بقية الملل لا يصلح دليلا لهذا التفصيل .

٧
مواقف العلماء من التكفير

سبق أن الإسلام اعتقاد وعمل وقول ، وأن له أصولا وفروعاً،وضد الإسلام الكفر ، وهو كذلك إعتقاد وقول وعمل ، وله أصول تخرج صاحبها من دائرة الإسلام ،وفروع لا يخرج بها عن دائرة الإسلام ، وهي تتفاوت في الاقتراب والابتعاد من الأصل .

وأمر التكفير خطير ، لأن له نتائج خطيرة ، كما أن التساهل في عدم الحكم بالكفر على من يستحقه خطير كذلك ، ولذا رأينا من عبارات العلماء : من لم يكفر الكافر فهو كافر مثله .

والواجب الوقوف عند نصوص الشريعة وقواعدها ، دون إفراط أوتفريط ، فالحكم في ذلك لله وحده .

وقد تشعبت آراء الطوائف في هذا الباب : فمنهم من فرط ومنهم من أفرط ، ومنهم من اعتدل .

والمقصود – هنا – ذكر الآراء باختصار ، ليتضح حكم مرتكب الذنب عند كل طائفة :–

الأول : مذهب الخوارج والمعتزلة ، وخلاصته أن مرتكب الكبيرة يخلد في النار إذا لم يتب ، هذا بالنسبة للجزاء الأخروي،أما حكمه في الدنيا فيرى الخوارج أنه كافر يأخذ أحكام الكفار ، ويرى المعتزلة أنه لا يطلق عليه إسم المؤمن ولا الكافر ، وإنما اسم الفاسق وهو ما يعبرون عنه بمنزلة بين المنزلتين .

واستدل الجميع بنصوص الوعيد الواردة في الكتاب والسنة .

الثاني : مذهب غلاة المرجئة ، وعلى رأسهم جهم بن صفوان إذ يرون أن مجرد التصديق القلبي والعلم إيمان لا يضر معه ذنب ، ولو كان هذا الذنب سب الله ورسوله وإهانة المصحف ومعاداة أولياء الله المؤمنين ، وموالاة أعدائه الكافرين .

واستدلوا على هذا المذهب الفاسد الذي يسوى بين أَبَرّ خلق الله وأفجر خلق الله بنصوص الوعد ، عكس استدلال الخوارج والمعتزلة .

الثالث : مذهب جماهير سلف الأمة الإسلامية وخلفها ، وخلاصته : أن الذنب الذي يخلد صاحبه في النار ، ويخرجه من دائرة الإسلام هو الكفر أو الشرك الأكبران ، وما عداهما من الكبائر

لا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام ولا يخلده في النار ، بل هو تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر له من أول وهلة وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار إلى الجنة ولا بد .

وعلى هذا المذهب الحق دلت نصوص الكتاب والسنة ، فقد وردت نصوص ترد على المذهب الأول ، منها قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء »، وفي الأحاديث الصحيحة أنه "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" ، أو "يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" ، كما وردت نصوص أخرى ترد على المذهب الثاني – مذهب المرجئة – قال تعالى : « والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما » .

وفي الحديث الصحيح : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ، والنصوص في هذا وذاك لا تحصىٰ كثرة .

ولهذا نرى أن أهل الحق عملوا بالنصوص كلها وأهل الباطل افترقوا فأخذت كل طائفة طائفة منها .

٨
كفُّوا عن الافتراء

وبهذه المناسبة أجدني مضطراً إلى التطرق لتهمة كاذبة واختلاق صريح أشاعهما أعداء التوحيد الخالص الذين ساءهم أن تكشف شمسُه الوهّاجة ظلماتِ الشرك والباطل والجهل الذي أسدلوه على أبصار أجيال وأجيال ، طالما اشرأبت إلى النور الهادي إلى صراط الله المستقيم .

وخلاصة هذه التهمة المختلقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يُكفّر جميعَ الناسِ عالمَهم وجاهلَهم إلا من اتبعه وهاجر إليه .

وقد تولى كِبْرَ هذه التهمة الجائرة قادة الاستعمار وأذنابهم من عُمي البصائر الذين أنتنت قلوبهم بالخرافات الغريبة عن دين الإسلام ، والذين لا يَقدرون على العيش في وضح النهار ، وإنما يعيشون في ظلمات الليل الكافر مثل الخفافيش .

ولا أريد أن أدافع عن الشيخ بما سجّله أحفاده في كتبهم من دفع تلك التهمة ، ولا بكلام

أسجله من إنشائي ، فذلك كله لا يكفي ، ولكني أنقل هذه الجملة المختصرة من رسالة بعث بها الشيخ نفسه إلى أحد علماء بغداد يرد على نفس التهمة قال : « وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة فياعجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟. إلى أن قال : وأما التكفير فأنا أُكَفِّر مَنْ عَرَفَ دين الرسل ثم بعد ما عرفه سبّه ونهى الناسَ عنه ، وعادى مَنْ فعله ، فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك » ؟هـ .

ومن هذه الجملة القصيرة نستفيد ما يأتي :-

١ - ان الشيخ اتّهم في حياته بتلك التهمة الكاذبة تنفيراً للناس عن التوحيد الذي دعا إليه .

٢ - أنه نفى عن نفسه تلك التهمة نفياً صريحاً وكاتب العلماء بذلك ليكونوا على بيِّنة من دعوته .

٣ - أنه لا يكفّر إلا من عَرَفَ دين الله معرفة صحيحة ثم بعد أن عرفه نهى الناس عنه وسبّه ، ومعنى ذلك أنه لا يكفر الجاهل حتى يعلم ثم يعاند ، وهذا هو ماسار عليه شيخه القديم شيخ الإسلام ابن تيمية كما سيأتي .

٤ - أنه يرى أن أكثر الأمة ليست كذلك أي لم تعرف الدين الحق ثم نهت عنه وسبته .

وبهذا يتضح أن تلك التهمة كذب وافتراء أُريدَ بها تنفيرُ الناس عن الدعوة الحقة .

وبنظرة إلى كتاب التوحيد الذي هو أهم كتبه التي ألّفها نجده يقتفي طريقة الإمام البخاري رحمه الله من التبويب والاستدلال فيأتي بالباب ثم يشبعه بالآيات والأحاديث الواردة فيه ، ثم يزيد فيستنبط بعد ذلك ما تدل عليه تلك النصوص في آخر كل باب .

وإذا وجدنا للشيخ أو لغيره مثل هذه العبارة : الذبح لغير الله كفر ، أو من دعا غير الله فقد كفر ، فإن هذا لا يعني تكفير شخص بعينه على ما سيأتي في القاعدة التي فصّلها شيخ الإسلام وعلى هذا فالمراد أن من فعل ذلك وقد قامت عليه الحُجّة فهو كافر ، ولا يلزم من ذلك تكفير الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة بالعلم . راجع "مصباح الظلام" للإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ .

٩

خطر الردة عن الإسلام

كانت الردة توجد في القرون الماضية ، وكان أسبقها الردة التي حصلت في عهد نوح عليه السلام ، وهكذا كانت توجد بين آن وآخر . وهي ذات خطر عظيم لا سيما الردة عن الإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم .

فقد دلت الأدلة القاطعة ، والشواهد الواضحة أنه لم يَعُدْ في الأرض دين حق سوى دين الإسلام . والشخص الذي يدخل في هذا الدين لا سيما الذي يعرفه عن كثب معرفة تامة ، ويذوق حلاوته ، وينعم بالعيش الآمن الهنيء في ظلاله الوارفة ، ويقطع بصدق أخباره وعدل أحكامه ، ويستضيء بنوره في خِضَمّ الحياة ثم ينكص بعد ذلك على عقبيه ، ويخرج من هذا النور الهادي إلى غيره من ظلمات الشرك والإلحاد والمعاصي بعد أن أنقذه الله منها ، أقول : هذا الشخص يكون ولا شك سبباً في هَدّ بنيان نظام حياة فريدة في الأرض ، وفي تخلخل صف أمة هي خير أمة أخرجت للناس ، ومن هنا كان الخطر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١) : « وأما المرتد فالمبيح عنده — أي المبيح عند الإمام أحمد للقتل — هو الكفر بعد الإيمان ، وهو نوع خاص من الكفر ، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه ، فقتله حفظ لأهل الدين ، وللدين ، فإن ذلك يمنعهم من النقص ويمنعهم من الخروج ، بخلاف من لم يدخل فيه » . اهـ .

وقال السيد سابق في : « فقه السنة » — بعد أن بيّن قيام البراهين والأدلة على صحة هذا الدين وشموله لجميع مجالات الحياة — : « فإذا خرج منه وارتد بعد دخوله فيه ، وإدراكه له كان في الواقع خارجاً على الحق والمنطق ، ومنكراً للدليل والبرهان ، وحائداً عن العقل السليم والفطرة المستقيمة ، والإنسان حين يصل إلى هذا المستوى يكون قد ارتد إلى أقصى دركات الانحطاط ، ومثل هذا الإنسان لا ينبغي المحافظة على حياته ، ولا الحرص على بقائه ، لأن حياته ليست لها غاية كريمة ولا مقصد نبيل » . اهـ .

وفي : « المسئولية الجنائية » لأحمد فتحي بهنسي : « جريمة الردة في الفقه الإسلامي فيها شيء من المماثلة لجريمة تغيير النظام الاجتماعي في الفقه الغربي ، كالفوضية وغيرها من المذاهب الهدامة ».اهـ

---

(١) مجموع الفتاوي (١٠٣/٩/٢٠) ، (٤١٣/٢٨)

وبالجملة ففي الارتداد عن الإسلام خروج على العقيدة ، وتمرد على النظام ، وشذوذ عن الجماعة وإضعاف لها ، وتكثير لسواد الأعداء وإفشاء لأسرار المسلمين ، وغير ذلك مما لا يتسع له المقام .

والمؤسف أن القوانين التي تحكم الشعوب الإسلامية ، وتنظم حياتها لم تُشِر حتى مجرد إشارة إلى هذا الحكم الخطير ، ولكن الغرابة تزول عندما يتذكر المسلم أن وضع هذه القوانين قصد به إبعاد الإسلام عن حياة المسلمين ، ومن جهة أخرى فإن كثيراً من المسئولين عن الشعوب الإسلامية يدخلون دخولا أولياً في عداد المرتدين ، وهل يعقل أن يضع المرتد لنفسه حكماً يكون فيه حتف أنفه ، أو حتف أنف الهالة التي تحيط به ؟!

وقد حملت إلينا الصحف هذه الأيام عن أمثال مَنْ ذَكَر أن في القرآن تناقضاً لم يعد يقبله العقل ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان إنساناً بسيطاً يسافر كثيراً عبر الصحراء ويستمع إلى الخرافات السائدة في ذلك العصر ثم ينقل تلك الخرافات إلى القرآن ، وأن المسلمين وصلوا إلى تأليه محمد لأنهم يقولون إذا ذكروه : صلى الله عليه وسلم ، وأن محمد أبقى للعرب بعض الأوثان كالحجر الأسود والجمرات حتى لا ينفرهم باقتلاع جميع الأصنام،وأنه صلى الله عليه وسلم كان يقدم مصلحة الدولة على عبادة الله عند التعارض ، ولم يدر أن مصلحة الدولة هي من عبادة الله في الشريعة الإسلامية . وليس هناك تناقض بين الشعائر الدينية وتسيير دفة أمور الدولة . ولا أريد في هذا المقام أن أرد عليهم وإنما أنبه فقط على ما يجرى عملياً من قادة شعوب العالم الإسلامي فأين أنتم ياعلماء وأين الصفات التي فضّلكم الله بها على سائر الناس ورفعكم بها درجات ، وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أخذ عليكم الله تبيانه للناس وعدم كتمانه ؟

١٠
أقسام الردة ، ولمحة عن سيرها عبر التاريخ الإسلامي

الردة قسمان : ردة فردية ، وردة جماعية ، فالردة الفردية أن يخرج من الإسلام فرد أوأفراد متفرقون لا تجمعهم رابطة نظام ولا قيادة كما يحصل ذلك في كل الأزمنة .

والردة الجماعية أن يخرج من الإسلام جماعة مترابطة منظمة تحت قيادة واحدة ، سواء كانت القيادة مكونة من شخص واحد أو عدة أشخاص .

والردة الجماعية – كما هو واضح – أعظم خطراً من الردة الفردية لأن الردة الجماعية لا تتمكن الدولة – إن وجدت دولة إسلامية تتصدى لها – بكاملها من إنهائها إلا بقتال واستبسال ونفقات باهضة لترابط أفراد هذا النوع ووقوفهم صفاً واحداً لحرب المسلمين ، بخلاف الردة الفردية ، فإن الأفراد فيها لا يشكلون خطراً عاماً على الأمة الإسلامية كما تشكله الردة الجماعية ، بل يكون الفرد أو الأفراد المرتدون يكونون عرضة للقضاء عليهم أو تشردهم إن كان المسلمون الذين حصلت الردة بينهم واعين لخطر الردة .

وقد حصلت الردتان : الفردية والجماعية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ارتد الحارث بن قيس ، وطائفة معه ، وعبد الله بن أبي سرح – وقد عاد هذا إلى الإسلام عام الفتح – ، وحصلت الردة الجماعية بظهور الأسود العنسي المتنبي الذي تبعه خلق كثير وعاث في الأرض فسادا .

وبهذه المناسبة أشير إلى أن محامياً وطنياً ظهر في هذا العصر يدافع عن الأسود العنسي ، ويدين لاثميه ، ويقول : الأسود كان رجلا وطنياً مخلصاً لشعبه ، وكانت ثورته ضد الظلم الذي بسببه تؤخذ زكاة اليمنيين وتملأ بها بطون الحجازيين ولذلك تتالت عليه لعنات أهل الحجاز .
أقول : أشير إلى ذلك إشارة فقط بدون تعليق .

ثم نجمت ردة عظيمة ذات قيادة وأعداد هائلة مقاتلة في عهد الصديق أبي بكر أول خليفة للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شملت هذه الردة الجزيرة العربية ماعدا الحرمين والطائف ، وكان من المرتدين من تنبأ ، ومنهم من صدق المتنبين وتابعهم ، وهذا النوع هو الردة الحقيقية ومنهم من منع الزكاة فقط محتجاً بأن الزكاة إنما كانت تؤدى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان يصلي على دافعيها ، وهو الذي تكون صلاته سكن لهم بخلاف غيره وقد أختلف العلماء في مانعي الزكاة أهم مرتدون أم لا ؟

والظاهر أنهم غير مرتدين ؛ لأمرين : الأول : أن منع الزكاة إذا لم يكن عن جحود لوجوبها لا يكون كفراً عند أكثر العلماء . الثاني : أن المانعين كانوا متأولين ، والمتأول لا يحكم عليه بالكفر .

وعلى هذا فإطلاق الردة على ما نعي الزكاة كان من باب التغليب(١)

(١) إلا أن بعض المحققين رأوا أن مانع الزكاة إذا قاتل على منعها الإمام أو نائبه فإنه يكون مرتداً ؛ لأن المسلم لا يمكن أن يقاتل على منعها وهذا تنزيل للقرينة الدالة على الجحود منزلة الجحود . كان هذا معنى ماعلق به سماحة رئيس الجامعة على هذه الفقرة .

ولقد وقف الصديق رضى الله عنه من تلك الردة الشاملة الكاسحة موقفه الفذ الذى كانت نتيجته القضاء على شوكة المرتدين وإنهاء الردة بعد جهود شاقة مضنية . حقق الله للمسلمين أبا بكر في كل زمان للقضاء على الردة والمرتدين !

ثم كانت الردة تقع في كل عصر من العصور فردية في الغالب وجماعية في بعض الأحيان . ولكنها بلغت مبلغاً خطراً في الأندلس فقدكانت ردة جماعية مؤلمة . إذ لم تجد من ينهيها ويقضى عليها . بل وجدت من عمّقها وأذكى نارها بأقسى أنواع التنكيل وأبشع أساليب القتل لإجبار المسلمين على ترك دينهم . وعلى إدخال أولادهم في مدارس النصارى المتعصبين لتلقى تعاليم المسيحية . وحظر التعليم الإسلامى حتى لم يبق من يستطيع ذكرالله فكانت مصيبة عظيمة أفقدت المسلمين أرضا لا زالت تحِنُّ إلى صوت المؤذن وراية المجاهد . وعدل الحاكم و حلقة العالم ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١١

الردة في هــذا العصـــر

ثم جاءت الطامة الكبرى في هذا العصر الذى يسمى عصر العلم والنور الذى يتبجح به المتبجحون إلى حد أنه إذا ذكر القرن العشرون انحنت له الرقاب . وطؤطئت له الرؤس . وطربت لرنينه الأسماع .

نعم لقد حقق فيه الإنسان — باستدراج من الخالق — ما لم يحققه في غيره من العصور السابقة من الاكتشافات العلمية المادية . ولو كان هذا الإنسان الذى حقق تلك الأمور يأخذ توجيهاته من ربه الذى خلقه وخلق هذا الكون وسخره له لكانت هذه الاكتشافات نعمة على الإنسانيـــة كلها . وليست مصدر قلق واضطراب وشقاء كما هوالحال .

ولقد استيقظ أعداء الإسلام ذلك الاستيقاظ المادى في حال غياب القيادة الإسلامية الموجّهة وأعني بها الخلافة الراشدة الرائدة الشاملة التى لا يجد المسلمون القوة القاهرة لأعدائهم إلا في ظل رايتها الخفاقة على كل جزء يتحرك فيه مسلم في أرض الله .

في غيابهذه القيادة استيقظ الأعداء وأخذوا يضعون الخطط المدروسة لزيادة توسعة الهوة

بين المسلمين وإسلامهم حتى أبعدوا ناشئتهم عن الإيمان والقيم والأخلاق ، فصاروا أساتذة أكثر حماساً واندفاعاً وقضاء على مقومات الإسلام من رُوّادهم الغربيين. فكانت كما قال الأستاذ الجليل أبو الحسن الندوي: « ردة ولا أبا بكر لها » .

١٢
الفرق بين الردة الحاضرة وغيرها(١)

فرق كبير جداً بين الردة التي نراها تسرح وتمرح في القرن العشرين وغيرها من نواح كثيرة ، أوجز أهمها فيما يأتي :-

١ – الشعور العام عند المسلمين

كان المسلمون في الماضي يشعرون بالردة وخطرها ، ويتخذون منها الموقف المناسب سواء كانت فردية أو جماعية ، كما وقف الصّدّيق وغيره في الصدر الأول من العصر الإسلامي الأول ، وكما وقف علماء الإسلام وأمراؤهم أمام كل ردة في العصور الماضية .

فما موقف المسلمين الآن ؟ لقد تبلّد هذا الشعور عند أكثر المسلمين الآن ، فأصبحوا يخالطون المرتد ، ويعاملونه معاملة غيره من أفرادهم، فالأب مع ابنه والأخ مع أخيه ، والصديق مع صديقه في مودة وألفة بل قد يجد المرتد من يدافع عنه ويسعى للحصول له على أرقى مناصب الدولة دون اكتراث . فأين هذا الشعور الشاذ من شعور الأسلاف ؟!

٢ – التمييز

كان المرتد يتميز عن سائر المسلمين أعظم من تميز المجذوم الذي لا يجد من يخالطه إلا النادر من أقاربه .

أما الآن فقد كاد هذا التميز ينعدم ، إذ تجد في البيت الواحد المسلم الذي يؤدي الفرائض ويجتنب المحرمات ، ويخشى عذاب الله وتجد ابنه أو قريبه ملحداً ، يهزأ بالله وكتبه ورسله ، ومع ذلك تجد الاثنين معاً يأكلان ويشربان ويقيلان وينامان، ويتعاملان سواء في محبة ووئام حتى اختلط الحابل بالنابل .

---

(١) راجع رسالة (ردة ولا أبا بكر لها) للأستاذ الندوي .

« يا أيها الذين آمنوا مَن يَرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

١٣
يجب الإنصاف

إن ما وصفته من حال الأمة الإسلامية هو الغالب . ولكن ذلك لا يعني أن الأرض خلت من حزب الله . فحزب الله موجود — وإن قل أفراده وتفرقوا في أنحاء المعمورة ، فكل بلد من بلاد العالم مسلمة وكافرة لا يخلو من أسد أو أسود تزأر داخل أسوارها . ساخرة من المثبّطين ، ممتدة عيونها إلى السماء وإلى كل جزء من الكرة الأرضية ، تنتظر الساعة التي تنطلق فيها محطمة تلك الأسوار ، وصانعيها وطواغيتها .

وهذه طلائع البعث الإسلامي يؤذن لها من بيت الله الحرام في غير موسم الحج ، فتتخلل تلك الأسوار وترد مسرعة إلى منهلها الصافي من كل فج وصوب . معاهدة خالقها على السير في طريق نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم . وأولئك روادهم ترتفع أنوفهم شامخة على مشانق الطغاة مكبّرة ربّها وحده لا ترضى بدينه بديلا .

وكأني بمولد الخلافة الإسلامية قد اقترب محمولا في دعوة التضامن الإسلامي التي ارتفعت من عرفات ومنى ومزدلفة مواكبة كلمات الأذان من بيت الله الحرام ترن في آذان الشباب المسلم فتوقظه من سباته العميق .

فلينطلق العلماء في الدرب هادين العالم بمعالم الحق علماً وعملا وأملا ، لا تثبيطاً وثرثرة وتيئيساً وكسلا . فلينطلق العلماء حاملين الراية لأمتهم فالعلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء مشاعل هداية وحملة خير وفلاح .

وغداً ستشرق شمس النصر على رؤس الخفافيش فتختفي إلى الأبد بإذن الله والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله،وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

١٤
أركان الردة

للردة ركنان : ١ – الركن المادي . وهو الفعل والقول أو الاعتقاد الذي يأتيه المسلم .
٢ – القصد الجنائي ، ولنبدأ الكلام على الركن الأول : مايتعلق بالله تعالى

١٥
إنكار وجود الله تعالى

وجود الله تعالى من البدهيات التي لا تحتاج إلى جهد في الاستدلال على إثباتها ؛ لأن الكون كله ناطق بوجوده :

وفي كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

من أجل ذلك لم تكن بالرسل من حاجة لدعوة قومهم إلى الإقرار بوجوده تعالى ؛ لأنهم يقرون به ابتداء ، وإنما كانوا يستدلون عليهم بذلك لإثبات ألوهية الله وحده .

وإذا كانت بعض الفِطَر قد انحرفت عن هذا الخطر الواضح الجلي محاولة إنكار وجوده تعالى فقد كانت من القلة بمكان ، بل كانت أندر من الكبريت الأحمر .

وقد ألجمهم القرآن الحجةَ وأقام عليهم البرهانَ من يوم نزل فقال : « أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خَلقوا السموات والأرض » .

٣ – الشمول

كانت الردة في العصور الماضية – ولو كانت جماعية – غير شاملة شمولها الآن . فقد ارتدت غالبية قبائل العرب في عهد أبي بكر ، ولكن بعض المناطق بقيت على الإسلام .

وعندما حدثت الردة في الأندلس بقيت الأقطار الأخرى على الإسلام .

أما في هذا العصر فإنك إذا أنعمت النظر وخالطت المنتسبين إلى الإسلام فستجد حاكماً مرتداً (يرأس شعباً مسلماً) سماه أبوه مجد الدين أو نور الدين أو محمداً أو عبد الرحمن تفاؤلا وتيمناً ، وشاباً مثقفاً كافراً بالإسلام في أسرة متدينة ، وحزباً ملحداً قابضاً على أَزِمّة أمور الدولة يبعث في شعبه الإرهاب ويسومه سوء العذاب ، ويجبره على قبول الحكم بما جاء به ماركس ولينين ، ومدرساً معادياً للدين وهو من أبناء حملة هذا الدين يدرس لأبناء المسلمين الكفر ، وهكذا قلما تجد بلداً خالياً من ردة ومرتدين إلا ما شاء ربك وقليل ما هم !

٤ – الأساليب المتخذة لارتداد المسلمين

من المسلّم به أن أعداء الإسلام لا يَقِرُّ لهم قرار ماداموا يرون المسلمين متمسكين بإسلامهم حقاً ، كما قال تعالى : « ود الذين كفروا لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم » ، وقال : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

وقد دأب الكفار على ذلك في كل زمان ومكان .

كما أنه من المسلَّم به كذلك أن ضعف الإيمان عند المسلم هو محور دوافع ردته عن الإسلام ، ولكن للأساليب المتخذة لإخراج المسلمين عن الإسلام دورها الخطير .

فقد لا يقوى بعض الأساليب على إخراج المسلم من الإسلام إلى الكفر ، وإن كان ضعيف الإيمان ، وقد يزعزع بعضها الآخر إيمان من هو أقوى إيماناً من السابق .

وأقوى الأساليب وأكثرها تأثيراً لارتداد المسلمين هي أساليب هذا العصر التي اتخذت لهذا الغرض ، سواء كانت عن طرق الإغراء أم عن طرق التهديد .

ومصادر هذ الأساليب هي : اليهود ، والنصارى ، والشيوعيون ، ومن أهم الأساليب الخادعة هي إخفاء الهدف الذي يتحرك للوصول إليه هذا الثالوث ، فالهدف الحقيقي هو إخراج المسلمين عن الإسلام ، والهدف البارز هو : العامل الاقتصادي أو الاجتماعي أو الجغرافي وغيرها

وسأذكر في هذا البحث الموجز بعض تلك الأساليب التي حققوا عن طريقها الوصول إلى الهدف الخفي :–

١ – التعليم ، وعن طريقه خرّجوا تلاميذ مرتدين في الغالب من أبناء المسلمين ، وأسندوا إليهم الإجهاز على ما بقي من دين وخُلُق .

٢ – وسائل الإعلام ، وتمتاز بعمومها وشمولها ، فما من فرد كبير أو صغير ، ذكر أو أنثى ، عالم أو جاهل إلا وفي إمكانه أن يسمع أو يقرأ أو يرى ، وقد وُجّهت هذه الوسائل توجيهاً دقيقاً ومركّزاً ومغرياً وأُعد لها جيوش من دعاة الإلحاد والكفر والتحلل .

وأقل ما يمكن أن تُحْدِثَهُ هذه الوسائل في نفوس ضعاف الإيمان هو الميوعة وردم ما بقي من فطرة في النفوس .

ولو أحسن استعمال هذه الأجهزة لكانت مدارس نافعة ورائدة خير كثير ، ولكن :ــ

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

٣ ــ التبشير والاستعمار والاستشراق

ولكل منها دوره الخطير الذي ليس المقام هنا مقام بسطه ، وما يجرى في العالم الإسلامي في كلٍ من آسيا وأفريقيا ، وملحقاتهما لا يخفى على المهتم بشئون المسلمين ، وإن كانت وكالات الأنباء العالمية لا تنقل الحقائق المرة ، بل تذكر النادر منها مزيّفاً .

وما تحاوله الصليبية واليهودية والشيوعية الآن في أرجاء المعمورة ، كأندونيسيا والفليبين والصين وروسيا وقارة أفريقيا وهنا في أرض فلسطين وعدن وظفار ليس بخاف ولا بعيد !

وما كل وسيلة من هذه الوسائل بمؤدية حتماً إلى الارتداد ولكنها قد تؤدي وقد تمهد .

٥ ــ التصدي لإنهــاء الردة

وأخيراً فإذا كان قد تصدى لإنهاء الردة والقضاء عليها في الماضي قائد مؤمن ثابت شجاع كأبي بكر، وأمة معتصمة بحبل الله كبقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعت فيهم الصفات اللازمة لحزب الله ؛ من محبتهم لله ، ومحبة الله لهم وذلة على المؤمنين ، وعزة على الكافرين ، وتخليص الولاء لله ولرسوله والمؤمنين ومعاداة للكافرين ، ومن إعداد وتنفيذ للجهاد في سبيل الله ، وعدم خوف لومة لائم فيه ، إذا كان وجد ذلك القائد وهذه الأمة بهذه الصفات فإن هذه الردة « لا أبا بكر لها » ، فقوّاد العالم الإسلامي أغلبهم بعيد عن الإسلام ، والأمة الإسلامية يسودها التفرق والجهل والأثرة ديدنها الخروج على أحكام الله ، تعادي أولياء الله وتوالي أعداءه أصبح الجهاد عندها نسياً منسياً ، أغلب علمائها يهمهم لقمة العيش والسلامة حتى من كلمة تقال باللسان ، والمتصدون للعمل متفرقون وكثير منهم مثبّطون يخوّفوننا من أمريكا وصواريخها ، وروسيا ونفّاثاتها ، فهل يؤمل من أمة هذه حالها أن تقضي على ردة هذا العصر المعقدة المنظمة المدعمة من الداخل والخارج ؟! بل لا يوقنون .

والمؤسف أن هذا العصر الذي تفتحت فيه العقول على كثير من مخلوقات الله وعجائب صنعه مما لم يكن متيسراً لها قبل ذلك والذي كان من المفروض أن يزيد الناس إيماناً بالخالق وتعرفاً عليه

– وقد زاد العقلاء منهم فعلا – في هذا العصر نجد من يجترىء قائلا : ما الدليل على وجود الله ؟! سبحان الله :

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليـــل

أيوجد هذا السؤال في عصر النور والعلم والعرفان ؟!

أعقولكم قادرة على الإحاطة بكل موجود ؟!

والأكثر أسفاً أن هذه الفئة الشاذة في تاريخ البشرية قد قامت لها دولة عظمى – كما تسمى – في القرن العشرين ، أولئك هم الشيوعيون ، وقد أثّرت عقيدتهم على كثير من شباب المسلمين حتى أصبح الشاب في بلاد الإسلام في وسط أسرته المسلمة تحيط به المآذن من كل مكان ويطرق سمعه التكبير كل يوم يقول في كبرياء: أين الله ؟ إن كان موجوداً فأرونيه ؟!

فصاروا بذلك مرتدين أعظم ردة وُجدت على ظهر الأرض .

١٦
إنكار أسمائه وصفاته

من أنكر اسماً من أسماء الله أو صفة من صفاته التي وردت في كتابه أو سنة رسوله الصحيحة ، كالسميع البصير ، الرحمن الرحيم ، القدير المقتدر ، وكالعلم والرحمة فقد جحد ما أثبته الله لنفسه ، وذلك هو الكفر بعينه .

ولكن هنا ملاحظتان هامتان :

الأولى : أن بعض الفرق الإسلامية أثّرت فيها فلسفات أجنبية عن دينها في ظروف خاصة ، فوقعت في شباك تلك الفلسفات فنفت بعض الصفات ، أو أوّلتها وأخرجتها عن معناها ظناً منها أن في ذلك تنزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين ، لأنهم – بسبب انحراف فِطَرهم عن طريق تلك الفلسفات – لم يفهموا من تلك الصفات إلا ما فهموه من صفات أنفسهم ، ومعنى ذلك أنهم نفوا أو أوّلوا عن اجتهاد أو حسن نية وتقليد .

الملاحظة الثانية: أن إتيان بعض الأعمال أو الأقوال أو الاعتقاد يكون كفراً في حد ذاته ، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون كل من أتاه يكون كافراً ، وهذه قاعدة عظيمة نبّه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وقد غفل عنها كثير من العلماء فوقعوا بسبب ذلك في مأزق خطير ،

إذ تجد فريقاً منهم يقدم على تكفير الشخص بمجرد ارتكابه ما يعتبر كفراً في حد ذاته بصرف النظر عن الفاعل وما يحيط به ، كما تجد فريقاً آخر يتحاشى أن يصف ما اعتبره الشارع كفراً بوصفه اللائق به خوفاً من أن يقع في تكفير مرتكبه ، وكلا الأمرين خطر وخطأ والصحيح أنه لا يحكم على كل من صدر منه ما يعتبر كفراً في حد ذاته بأنه كافر ، لأنه قد يكون مستحقاً للكفر بتوفر الشروط فيه،وقد لا يكون كذلك لعدم توفرها ، كما أنه لا يجوز الإحجام عن وصف ما وصفه الشارع بالكفر بأنه كذلك .

ولذلك نرى أئمة الإسلام يحكمون بأن منكر القدر كافر في الجملة ثم يتوقفون في تكفير القدرية .

وبهاتين الملاحظتين يتضح المقصود في هذا الباب وغيره .

١٧
الإشراك به تعالى

الله تعالى خلقنا لنعبده كما قال : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ونفى عمن أشرك بـه مغفرته ، فقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » .

فمن صرف لغيره سبحانه شيئاً من أنواع عبادته فقد أشرك وصار بذلك مرتداً ، مثل دعاء غيره أو الذبح له أو النذر وما شابه ذلك .

١٨
نسبة الظلم إليه تعالى

من نسب الظلم إلى الله تعالى فقد كفر ، لأنه تعالى نفى عن نفسه الظلم في نص كتابه وسنة رسوله ، قال تعالى : « ولا يظلم ربك أحدا » ، وقال : « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وفي الحديث القدسي الصحيح : « يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » .

١٩
الاستهزاء بأسمائه وصفاته

من استهزأ باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته فقد كفر.ومن هؤلاء من يسخر من دعاء الله

أو طلب الشفاء منه ، أو قضاء أي حاجة يطلبها منه العبد ويعتبرون ذلك من الخرافات ، قال تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » .

٢٠

عدم محبة الله تعالى ، أو مساواة المخلوق به في المحبة

إن هذا الخالق الذي خلق هذا الكون ، وسخّره للإنسان ، وأعطى هذا الإنسان العقل والقدرة على استخدام كثير مما خلق الله في مصالحه إذا انعدمت محبّة هذا الخالق المسخّر المانح من قلب هذا المخلوق الممنوح أو ارتفعت في قلبه محبة غير الله حتّى ساوت محبة الله فذلك دليل عدم الإيمان بالله ، وإذا كان الشاعر قد سمى الإحسان الصادر من مخلوق إلى مخلوق استعباداً :

أحسِنْ إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

فأي إحسان يوازي إحسان الخالق إلى خلقه لاسيما هذا الإنسان ؟!

أليس المخلوق المحسن نفسه من إحسان الله الخالق ؟!

وهذه المحبة هي محبة الخضوع والتذلل والتعظيم المستلزم للإيثار المطلق ، قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » .

وهناك محبّتان أخريان تكونان لغير الله — وليس فيهما محظور — بل الأولى منهما عبادة تابعة لمحبة الله ، وهي محبة من يحبه الله ، كمحبة الرسل وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة عباده الصالحين كالصحابة وغيرهم ، إلا أن محبة الرسول كرتبته في البشر لا تصل إليها محبة غيره ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين » .

وهكذا محبة مايحبه الله من الأعمال الصالحة فإنه عبادة تابع لمحبته تعالى .

المحبة الثانية : العادية أو الطبيعية ، وهي التي تحصل عادة من الأب لابنه ، أو من الزوج لزوجه ، أو من الصديق لصديقه ، وهذه قد تكون عبادة إذا ما تدخلت فيها النية الصالحة فقلبتها من محبة طبيعية إلى محبة في الله ، ومن المحبة الطبيعية قوله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء » على أحد تفسيرين للعلماء فيها .

٢١
إعطاء حق التشريع لغيره فيما لم يأذن به

وفي هذا البحث مسألتان :ـ

الأولى : بيان أنواع الحكم بغير ما أنزل الله وهي في الجملة أربعة أنواع :

النوع الأول : أن يستَحِلّ الحاكمُ الحكمَ بغير ما أنزل الله فيحلّ الزنا وشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله بغير حق .

النوع الثاني : أن يصرح بأن الحكم بما أنزل الله ليس صالحاً للعصر ، وأن القوانين الوضعية أصلح وأنفع للناس .

وحكم صاحب هذين النوعين هو أنه كافر خارج عن دائرة الإسلام ، ولا خلاف بين أهل الحق في ذلك .

النوع الثالث : ألا يصرح بالاستحلال ولا عدم صلاحية الحكم بما أنزل الله نطقاً ، ولكنه يعمل ما يدل على ذلك ، كمن يتولى منصب رئيس الدولة في بلاد يطبق فيها الحكم بما أنزل الله فيلغي ذلك إلغاء كاملا ، ويحل محله القانون الوضعي الذي ينظم التعامل بالأمور المحرمة ، كوضع الضرائب على الزنا وترك السكّيرين يشربون الخمر علناً ، وعدم إقامة الحدود والقصاص، وبالجملة إلغاء المحاكم الشرعية بكاملها إلى حد التدخل في الأحوال الشخصية فيساوي بين الذكر والأنثى في الإرث، ويحرم تعدد الزوجات، ويجعل للمرأة الحق في الطلاق كالرجل .

النوع الرابع : أن يحكم بغير ما أنزل الله في جزئية من جزئيات الشريعة ، مع اعتقاد هذا الحاكم أنه عاص بذلك وأن الواجب هو الحكم بما أنزل الله .

هذه هي الأنواع ، وسبق حكم النوعين : الأول والثاني ، فما حكم الثالث والرابع ؟ هذا ما أريد توضيحه في المسألة الآتية :ـ

المسألة الثانية

الذي يظهر أن الذي يحكم بغير ما أنزل الله في بعض الجزئيات وهو يعتقد أنه عاص ، وأن الواجب عليه هو الحكم بما أنزل الله أنه لا يكون كافراً بذلك ، بل عاصياً ، وإذا أطلق عليه الكفر فهو كفر دون كفر ، وعلى هذا تدل عبارات العلماء رحمهم الله .

هذا بالنسبة للنوع الرابع . أما النوع الثالث فهو قريب فيما أرى من النوعين الأول والثاني ؛ لأن إلغاء الحكم بالشريعة الإسلامية وهو قائم في شعب مسلم ، والاستعاضة عن ذلك بالقوانين الوضعية المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله بتحليل الحرام وتحريم الحلال وحماية ذلك بقوة السلطة كل ذلك يدل على الرغبة عن حكم الله إلى غيره ، ولا أظن أن علماء المسلمين يختلفون في كونه كافراً وهم الذين يصرحون بارتداد من أنكر وجوب الطهارة أو رمى المصحف بقذر .

٢٢
ما يتعلق بالملائكة

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ، قال تعالى : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » ، وفي حديث جبريل المشهور : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره » .

فإنكار وجودهم تكذيب لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو ردة إن صدر من مسلم ، ومثل إنكار وجودهم إنكار ما أخبر الله به من صفات لهم جميعاً أو لبعضهم ، أو إثبات ما نفاه الله عنهم . وكل ذلك يحتاج إلى بحث طويل لا يتسع له هذا المقام .

ولكني أحب أن أنبه على شناعة اعتقاد غُلاة الشيعة الذين يكذبون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة ، فينتقصون خير سفير بين الله ورسله وينسبون إليه الخيانة ويعادونه في صف اليهود الذين عادوه من قبل ، ويزعمون أنه لم يبلغ الرسالة إلى مستحقها — وهو علي رضي الله عنه — وإنما ذهب بها إلى محمد صلى الله عليه وسلم من عند نفسه ، لا من عند الله ، والله يقول : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » ، وقال تعالى : « وما هو على الغيب بضنين » ، وقال : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » .

فماذا يريد الروافض واليهود بعد هذا ؟!!

٢٣
ما يتعلق بكتب الله المنزلة على رسله

لم يزل الله تعالى ينزل على رسله عليهم السلام آياته التي توجه البشرية إلى مافيه صلاحها في

الدنيا والآخرة ، فقد خاطب آدم : « فقلنا يا آدمُ إنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ ولزوجك فلا يخرجَنَّكما من الجنة فتشقى » ، وقال : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » ، وقال على وجه العموم : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » ، وعلى وجه التفصيل : « وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا » .

وأمر تعالى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يذيعوا إيمانهم بكل ما أنزل على رسله فقال : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي النبيون من ربهم » .

وأخبر تعالى عنهم أنهم آمنوا بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الرسل دون تفريق ، فقال : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون .. إلى أن قال : « لا نفرق بين أحد من رسله » .

فمن جحد كتب الله المنزلة إجمالا أو تفصيلا فهو كافر . وقد بيّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم الموقف الذي يجب أن نقفه من الكتب السابقة بما يأتي :—

١ — ما وافق كتابنا أو سنة نبينا منها صدقناه .

٢ — وما خالفهما كذبناه .

٣ — ومالم يوافقهما أو يخالفهما لا نصدقه ولا نكذبه خشية أن يكون ما صدقناه كذباً أو ماكذبناه صدقاً .

ولكن هنا ملاحظة ، وهو أنه قد يقول قائل : أنا لا أومن بالتوراة ولا الإنجيل ـ مثلا — وهو يريد التوراة والإنجيل الموجودين حالياً بما فيهما من تحريف ، فهل يعتبر ذلك ردة ؟ الجواب : لا ، ولكن الإطلاق خطأ ، فينبغي أن يصرح بمقصوده حتى لا يحدث لبس وشك .

٢٤
مايتعلق بالقرآن الكريم

القرآن كلام الله ، نزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل الأمين عليه السلام ، أخباره صدق ، وأحكامه عدل ، تحدى الله الجن والإنس مجتمعين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أنزل لتطبقه البشرية : إيماناً وعبادة ومعاملة يهدي لأقوم سبيل : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

فمن جحد هذا القرآن ، أو شك في صدقه ، أو عَدَلِ أحكامه فهو خارج عن ملة الإسلام ، وقد نفى الله عنه الشك في قوله : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » .

ومن زعم نقصه كبعض الروافض ، أو عدم حفظه من التحريف فقد كفر كذلك ؛ لأن الله عز وجل يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ويقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » ، وزعم نقص القرآن كزعم نقص الدين .

ولا يدخل في زعم نقص القرآن اعتقاد أن في السنة أحكاماً أخرى زائدة على ماجاء في القرآن ، فالسنة وحي كالقرآن ، وإن اختلفت عنه في بعض الأمور .

ومن اعتقد أن القرآن لم ينسخ كل الكتب المتقدمة أو أن لكتاب منها حق الطاعة مستقلا أو مع القرآن فقد كفر ، قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » والآيات والأحاديث كثيرة جداً في هذا المعنى .

وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

وإذا كان هذا شأن الكتب المحرفة أمام القرآن وهذا حكم من أعطاها حق التوجيه معتقداً أنها من عند الله فما شأن القوانين الوضعية وعُبَّادها ؟!

ومن سخر بالقرآن الكريم واستهزأ به ، كان مرتداً ومن ذلك : رمي المصحف بقذر ، أو حرقه احتقاراً له ، ونكاية بالمسلمين ، قال تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » .

٢٥
ما يتعلق بالرسل عليهم السلام

يمتاز المؤمنون بالإيمان بالغيب ، قال تعالى في وصفهم : « آلَم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » فجعل الإيمان بالغيب أول صفة لهم بعد التقوى .

وقد سبق بعض النصوص الدالة على أن المؤمنين يؤمنون بالرسل كلهم لا يفرقون بين أحد منهم .

ووعد الله المؤمنين الذين لا يفرقون بين الرسل بالأجر والمغفرة والرحمة فقال : « والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما » ، ووصف الكافرين به وبرسله أو المفرقين بينهم بأنهم هم الكافرون حقا،وهددهم بالعذاب المهين فقال : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينـــا » .

فمن لم يؤمن بالرسل إجمالا وتفصيلا فهو خارج عن دائرة الإسلام .

٢٦
ما يتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

مما لا شك فيه أن الداعي إلى الإيمان به صلى الله عليه وسلم قائم إلى يوم القيامة ، وعن طريق هذا الداعي يمكن الاستدلال على وجوب الإيمان بغيره من الرسل عليهم السلام ، فالآيات التي آمن الناس عن طريقها بالرسل السابقين من المعجزات انتهت،أما الآية التي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فهي باقية إلى يوم القيامة ألا وهي القرآن الكريم الذي تحدى الله به الجن والإنس مجتمعين كما مضى ، فمن لم يؤمن به بعد هذا فمن يشك في كفره ؟! هذا بالاضافة إلى أن دين الإسلام الذي جاء به صلى الله عليه وسلم مُجرَّبَ فلم يُرَ في الأرض له مثيلٌ في كل مجالاته .

وهو عليه السلام خاتم النبيين كما قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، وأخبر عن نفسه بذلك فقال : « إن لي أسماء فأنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا العاقب – والعاقب من لا نبي بعده –» ، واُعتُبِر مُدَّعُو النبوة بعده صلى الله عليه وسلم كفاراً مرتدين،كمسيلمةَ وسَجَاح،وأخبر أن دجالين كثيرين سيدعون النبوة بعده .

وقد حصل ذلك فعلا ، وما الدّجّال الكبير ميرزا أحمد الذي انتشر أتباعه في كل مكان ببعيد عن الأذهان .

ومِثْلُ مَنْ لم يؤمن بأنه خاتم النبيين في الكفر،من اعتقد أن أحداً شاركه في الرسالة ، كزاعمي مشاركة علي رضي الله عنه له في ذلك .

وكذلك من لم يؤمن بعالمية رسالته ، في الزمان أو المكان أو الأجيال البشرية ، كالذين يزعمون أنه رسول إلى العرب خاصة ، قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». وقال : « تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « وبعثت إلى الناس عامة »

ومن استهزأ به بأي نوع وبأي أسلوب سواء كان بالكلام أو التصوير في الصحف أو الأفلام أو غير ذلك فقد كفر .

وسبقت الآية الكريمة : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » .

والمؤسف كل الأسف أن كثيراً من الناس – لاسيما الكثر من رؤساء الشعوب الإسلامية لو علم أن شخصاً ما يسخر منه ويسبُّه لأنزل به أشد العقاب ولكنه لو بلغه أنه سب الله ورسوله لم يتحرك قلبه لذلك فأين إسلام مثل هؤلاء ؟!

٢٧
ما يتعلق بالواجبات التي عُلِمَ وجوبُها من الدين بالضرورة

هناك واجبات من أصول الإسلام ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، يعلم وجوبَها خاصةُ المسلمين وعامتُهم لاسيما الناشيء في ديار الإسلام . وقد دل على وجوبها نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فمن جحد وجوب هذه الأصول فهو مرتد ، ولا حاجة إلى الإطالة في هذا الموضوع لعدم الخلاف فيه .

وإذا فرض أن الجاحد جاهل ، كأن يكون حديث عهد بالإسلام أو في مكان ناء عن العلماء فله حكمه الذي سيأتي قريباً في الركن الثاني من أركان الردة ، وهو : القصد الجنائي .

فإن ترك هذه العبادات تكاسلا ففيها للعلماء أقوال : القول الأول : أنه لا يكفر ولو عزم على تركها أبدا استدلالا بالنصوص الدالة على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . القول الثاني : أنه يكفر فيما عدا الحج . القول الثالث : أنه يكفر بترك الصلاة فقط . القول الرابع: أنه يكفر بترك الجميع . والقول الثالث هو المشهور في مذهب الإمام أحمد .

وظاهر النصوص تدل على كفر تارك الصلاة ،كقوله صلى الله عليه وسلم : « من ترك الصلاة فقد كفر » إلا أن الذين لا يرون التكفير يحملونه على كفر دون كفر، قالوا: وفيه جمع بين النصوص الدالة على التكفير والنصوص الدالة على أنه يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وغير ذلك .

وللعلامة ابن القيم رحمه الله كتاب قيم في هذا الباب هو كتاب الصلاة فليرجع إليه من شاء .

والظاهر من سياقه التكفير معللا ذلك بأمرين :ـ

الأول : ظواهر النصوص التي مرت الإشارة إليها .

الثاني : أن من في قلبه شيء من الإيمان لا يدعه هذا الإيمان مهما قلّ أن يترك الصلاة طول عمره لاسيما إذا هُدِّدَ وَحُبِسَ وَضُرِبَ . وعلى هذا فالذين يرون كفره لم يخرجوا على القاعدة المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة ، وهي : أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بكبيرة غير الشرك ، لأن المكفّر يرى أن تارك الصلاة طول عمره ليس مؤمناً ، ولكنْ هنا إشكال وهو تعذر القطع بأنه ليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وهذا الإشكال لم أستطع الإجابة عليه ولعل والدنا وشيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الذي اعتدنا منه التنبيه على كثير من النقاط في مثل هذا المقام يفيدنا في هذا الإشكال وغيره .

٢٨
مايتعلق بالمحرّمات المجمَع على تحريمها

وكما أن في الشريعة الإسلامية واجبات ظاهرة تعتبر أصولا فيه كما مضى ، ففيها كذلك محرمات ظاهرة تعتبر أصولا وقد علم تحريمها من الدين بالضرورة ، كالزنا وقتل النفس التي حرم الله بغير حق وأكل لحم الميتة ، واستحلال أخذ أموال الناس بالباطل .

وبنظرة إلى ما يجري في أغلب الشعوب الإسلامية التي يحكمها من لم يلتزموا بشرع الله بل بقوانين ساداتهم وأهوائهم نجد أن كثيراً من هذه المحرمات تصدر بها قوانين تنظمها وتجبي من ورائها الضرائب لخزائن الحكام كما أن تلاميذ الشيوعيين الذين فاقوهم في الخروج على الفطرة والمنطق يستحلون أموال الناس ظلماً حتى في قوانين أساتذتهم الأصليين ، فأين نضع هؤلاء ؟ ندعهم لله يضعهم في المقر المناسب لهم .

الركن الثاني : القصد الجنائي

قد يصدر من الشخص ما يعتبر كفراً في حد ذاته . ولكنه قد يصدر منه عن جهل بحكمه ، أو غير ذلك مما يجعل الشخص غير مسئول جنائياً عنه .

فصدور الكفر من الجاهل المعذور في جهله لا يخرجه من الإسلام قال تعالى : « وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، وقال : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك ، ومثل هذا لا يُكَفَّر ، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يُحكَمُ بكُفره حتى يُعرَّفَ ماجاء به الرسول ﷺ وقد دل على هذا الأصل ماجاء في الصحيحين في شأن الذي قال لأهله :" إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذَرُّوني في اليَمّ فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين ففعلوا به ذلك فقال الله له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيتك ، فغفر له ".

ففي هذه القصة ١ ــ إنكار قدرة الله على إعادته وهذا كفر لأنه إنكار للقدرة ٢ــوفيه إنكار للمعاد ومع ذلك فقد غفر له لجهله . (١)

وكذلك الخطأ لا يحكم على صاحبه بالكفر وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة قال تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » وصح أنه تعالى قال جواباً على هذا الدعاء : نعم . وفي الحديث : « تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهوا عليه » .

فقد يشتد الفرح بصاحبه ــ وكذلك الغضب ــ فيصدر منه ما يعتبر كفراً لو ألقى له بالا ولكنه يعذر لعدم قصده . كالفاقد راحلته في فلاة وعليها طعامه وشرابه ثم وجدها بعد أن يئس منها فقال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك .

---

(١) مجموع الفتاوي (٣/٢٣١) (١١/٤٠٦-٤١٣)

وكذلك المتأول الذي تدل القرائن أنه صادق في تأوله كالذين استحلوا الخمر في أول الإسلام مستدلين بقوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » الآية ، ظناً منهم أنها تعني تحليل شرب الخمر ولم يكفروا ولو لم يكونوا متأولين لكانوا مرتدين ، وكذلك الخوارج الذين استحلوا دماء المسلمين وأموالهم،فإن المحققين من العلماء لم يكفروهم؛لأنهم كانوا متأولين ولهذا لما سئل علي رضي الله عنه عن كفرهم قال : هم من الكفر فرّوا .

وكذلك المُكْرَهُ على فعل أو قول ما يعتبر كفراً فإنه وإن كان الأفضل في حقه أن يصبر ولا يقدم على قول أو فعل الكفر كما فعل بلال الذي كان يعذب وهو يقول : أحد أحد ــ أقول : وإن كان الأفضل في حقه الصبر إلا أنه لا يعتبر كافراً لو أقدم على ما طلب منه مادام مطمئن القلب بالإيمان كما فعل "عمّار" والله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

وفي الهازل الذي يطلق كلمة الكفر استخفافاً غير قاصد لما قال خلاف :

فيرى الشافعي والظاهرية أنه لا يَكْفُر؛لأن الأعمال بالنيات،ويرى غيرهم أنه يكفر؛لأن الشارع قد جعل بعض المعاصي الظاهرة أمارة على الكفر وذلك كالسجود للأصنام .

٣٠

شــروط الردة

يشترط لصحة الردة أهلية الشخص المحكوم عليه بالردة وهذه الأهلية لا تكتمل إلا بالعقل والبلوغ :ــ

١ ــ فالمجنون الذي لا يفيق من جنونه مطلقاً لا تصح ردته،فإن كان يفيق تارة ويجن تارة فلا تصح ردته في حال جنونه وتصح في حال إفاقته .

فإن غاب عقله بسكر محرم،فيرى الإمام مالك والشافعي رحمهما الله صحة ردته ، وأظهر الروايتين عن أحمد رحمه الله قالوا : لأنه تسبب في السكر مختاراً فكان ذلك عقاباً له ويرى أبو حنيفة رحمه الله عدم صحة ردته لزوال عقله وذلك رواية عن الإمام أحمد أيضاً وهذا هو الصحيح؛فإن السكران لا إرادة له يُعتَدُّ بها . أما العقاب فقد قرر الشرع عقاب السكران فلا يزاد على ما قرره الشرع إلا بدليل ولا دليل .

٢ – والصبي غير المميّز لا تصح ردته عند الجميع . فهو كالمجنون أما المميّز ففيه خلاف : فرأى أبو حنيفة صحة ردته ، ورأى غيره عدم صحتها وهذا هو الصواب للحديث : " رفع القلم عن ثلاثة منها : وعن الصبي حتى يبلغ " .

كما يشترط في ثبوت الردة أن يُقِرّ المرتد على نفسه، أو يَشهد عليه شاهدا عدل بذلك .

هذا آخر ما استطعت الإدلاء به في هذه المحاضرة عن الردة . وبه يظهر أن البحث كله يدور حول تعريف الردة وأركانها وشروطها . ولم يتطرق لأي حكم من أحكام المرتد التي فصّلها فقهاء الإسلام في كتبهم ولعل الله يهيىء لي إكمال ذلك لتتم الفائدة وترتبط أجزاء الباب بعضها ببعض . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وإلى القارىء الكريم هذه المحاضرة

التي رأينا أن نلحقها بهذا الموضوع ، وهي عن :

موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي

للدكتور إبراهيم جعفر السقا الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضاه، أحمده تعالى وأشكره وأكبره تكبيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها النجاة .. يوم نلقاه ، يوم يُبعثَرُ ما فى القبور ، ويُحصَّلُ ما فى الصدور ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، وعلى كل من سار على نهجه ، ودعا بدعوته وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : ـ

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (١) .

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٢) .
« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » ★ (٣) .

وأخرج الإمام مسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، وفى رواية غير مسلم « الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس » وفى رواية « يُصلحون ما أفسد الناس » .

وأخرج البخارى وأبو داود والنسائى عن خباب بن الأرتّ رضى الله عنه قال :

شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسِّدٌ بردةً فى ظل الكعبة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥

(٣) سورة المائدة آية ٥

★ قال رجل من اليهود أشد الناس حسداً وعداوة للإسلام ـ لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين « إنكم تقرؤون آية من كتابكم، لو علينا معشرَ اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال: وأى آية؟ قال : آية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ... » قال عمر رضى الله عنه : إنى أعلم متى نزلت وأين نزلت » ..

فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض ، فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويمُشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله لَيُتمَّنَّ اللهُ تعالى هذا الأمر حتى يسير الركب من صنعاء إلى حضر موت فلا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

« كأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء عليهم السلام ضربهُ قومه فأدموهُ وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

إخوة الإيمان :

ألتقى بكم فى جوار الحرم المدنى ، على مائدة الله عز وجل ، فى دار هجرة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم ومسجده وبيته ، ومثواه ، وأنتم تعلمون أن بدء التاريخ لأمتنا ، ومنطلق الكتائب لفتوحاتنا حملت لواء الإسلام من مشرق ومغرب من حصن الله الحصين ، من بيت الله ومسجد نبيه الكريم صلوات الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

فلم ينته القرن الأول للهجرة ، إلا ومجال النور البازغ من غار حراء قد امتد من هضبة الدكن وساحل بحر الهند إلى قمم الأطلسى وحافة بحر الظلمات .

نعم : أتحدث إليكم من جوار قلعة من قلاع الإسلام ، وحصن من حصون العزة والانتصار ، ولم أجد وصفا أروع ، وبيانا أعذب ، وبلاغة تملك جنبات النفس فى المسجد ودعاته وروداه من قوله تعالى : « فى بيوت أذِنَ الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »(١) .

أجل يا إخوة الإسلام : إنها بيوت الله وكفى ، وأى بيت أرفع شأنا وأولى بالعناية والرعاية والانطلاق من رحابه من بيت الله عز وجل .

أتخيل أولئك الذين رفعوا راية الإسلام فوق كل رابية وعلى كل حصن حصين استعصى على جبابرة الأقدمين .

أتخيل أولئك الذين لمعت سيوفهم بالمشرق فانقضت شهبها بالمغرب .

أتخيل أولئك الذين قال الناس عنهم " كانوا مع الله فكان الله معهم "

أتخيل أولئك الذين سحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم ، ولم يأبهوا بأبراج المجوس وخنادقهم ، ولا بقلاع الروم ومعاقلهم .

(١) سورة النور آية ٣٦ .

أتخيل أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فى وقت ترعرعت فيه النذالة ، وازدهرت الخسة ، واختفت المروءة ، وتوارت الشجاعة .

أتخيل أولئك الذين عملوا لله ورسوله والإسلام والمسلمين فى فترة الظلم الحالكة التى ضجت منها الأرض والسماء والجبال فأقاموا دولة الإسلام الأولى وجعلوا كلمة الله هى العليا فيها .. ثم أقارن ما بين مجتمعهم ومجتمعنا فأصعق آنئذ .

ولعل من الواجب علىّ أن أبين هوية المجتمع الإسلامى من خلال العاملين الأساسيين اللذين تركنا عليهما رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهما "الكتاب والسنة" المطهّرَيْن ولا بُدّ لى كذلك من أن أشخّص المجتمع الجاهلى قبل بيان موقف الإسلام منه .

وأنا أسارع للاعتذار بأنى لا أحاضر محاضرة الموت ، بل أهتف بفجيعة المؤمن ، ومصيبة المسلم وغربة الإيمان فى موطنه .

هوية المجتمع الإسلامى :

إن السمة الأولى المميِّزة لطبيعة المجتمع الإسلامى هى أن هذا المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده ، هذه العبودية التي تمثلها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

هذه العبودية التي تتمثل فى توحيد الله وفى الشعائر التعبدية ، وفى الشرائع النظامية والقانونية والدستورية وفى كل مناهج الحياة ومرافقها .

فليس مجتمعنا إسلاميا إذا لم يعتقد بواحدانية الله ، وأنه عز وجل واحد فى أفعاله وخلقه وتدبيره لعباده ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وأنه موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى وأنه كامل فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جل وعلا ، وأنه لا شبيه له ولا نظير ولا ند له « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (١) .

ولا عجب فالتوحيد شعار الإسلام الأول فى ميدان الاعتقاد والعمل به عرف ومن أجله حورب ، قال تعالى : « أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل لا أشهد ، قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون » (٢) .

« وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد ، فإياى فارهبون » (٣) .

« إن إلهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » (٤) .

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » [البقرة آية ١٦٣] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٩ .
(٣) سورة النحل آية ٥١ .
(٤) سورة الصافات آية ٥ .

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » [الرعد آية ١٦] .

وليس مجتمعا إسلاميا إذا لم يتقدم بأداء العبادات لله وحده دون سواه .

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » [سورة الأنعام ١٦٣] .

« قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » [سورة يونس آية ١٠٤، ١٠٥] .

« ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين » [سورة يونس آية ١٠٦] .

وليس مجتمعا إسلاميا إذا لم يتآخ فيه باسم الإيمان بالله ، العربيُّ ، والفارسى ، والشامى ، والمصرى ، والمغربى ، والتركى ، والصينى ، والهنـــدى ، والرومانى ، والإغريقى ، والإندونيسى ، والإفريقى .. إلى آخر الأقوام والأجنـــاس التى تدين بالإسلام مبدأ وعقيدة ودستور حياة .

« فليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (١) .

« ومن قتل تحت راية عمّيّة يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية » (٢) .

« إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرَها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى ، وفاجر شقى كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب » (٣) .

وليس مجتمعا إسلاميا من يحتكم لغير ما أنزل الله ، أو يتلقى شرائعه من أحد سوى الله ، « إن الحكمُ إلا لله » [سورة الأنعام آية ٥٧] .

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » [سورة الشورى آية ٢١] .
« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » [سورة النساء آية ٦٠] .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ،ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » [سورة النساء آية ٦٥] .

---

(١) أخرجه مسلم .
(٢) أخرجه أبو داود .
(٣) أخرجه أبو داود والترمذى .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »[سورة الأحزاب آية ٣٦] .

فالمجتمع الإسلامى هو الذى يعتقد اعتقادا جازما أن الحاكمية لله وحده . ولا يلجأ إلى العقل والقوانين الوضعية والأحكام الطاغوتية إذا واجهته مشكلة أو معضلة . أو قضية أو إذا نزلت بساحته مصيبة أو كارثة أو طامة . وإنما يفزع إلى شرع الله يبحث ويسأل ليأخذ معالجة الإسلام لمشكلته وقضيته ، وحكم الرحمن لمصيبته وكارثته وطامته .

هذا هو معنى الحاكمية ، وهو كمفهوم يعتبر مسألة من مسائل العقيدة الإسلامية . ومَعْلَما بارزا من معالمها .

هذا هو المجتمع المسلم ، المجتمع الذى تتمثل فيه العبودية لله وحده فى معتقدات أفراده وتصوراتهم كما تتمثل فى شعائرهم وعباداتهم . كما تتمثل فى نظامهم الاجتماعى والاقتصادى ، والعمرانى ، والتعليمى ، والنقدى ، والزراعى ، والصناعى ، والعسكرى وفى سياستهم الداخلية والخارجية إلى غير ذلك ، وأيما جانب من جوانب المجتمع الإسلامى تخلف عن الوجود والحياة فقد تخلف الإسلام نفسه عن الوجود فى ذلك المجتمع لتخلف ركنه الأول ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » وأصبح مجتمعا جاهليا لأنه لا يخلص العبودية لله وحده .

وبهذا التعريف الموضوعى تدخل فى إطار المجتمع الجاهلى المجتمعات القائمة على غير أساس الإسلام ، كالمجتمع الشيوعى ، بإلحاده فى الله ، وبإنكاره وجوده أصلا ، وترجع الفاعلية فى هذا الوجود إلى المادة أو الطبيعة ، والعبودية فيه للحزب لا لله تعالى .

ولقد كتب "لينين" بصدد المفهوم المادى عند فيلسوف العهد القديم "هيراقليط" الذى جاء فيه : « العالم واحد ، لم يخلقه أى إله أو إنسان وقد كان ولا يزال وسيكون شعلة حية إلى الأبد تشتعل وتنطفىء تبعا لقوانين معينة » فقال "لينين" : « يا له من شرح رائع لمبادىء المادية الديالكتيكية » (١) .

وكالمجتمع الوثنى والمجتمع المستمد أنظمته وشرائعه من الكهنة والسدنة والسحرة أو أنه استمدها من هيئات مدنية علمانية سواء أكانت باسم الشعب أو الحزب أو البرلمان . وكالمجتمع اليهودى والنصرانى الذى لا يفرد الله سبحانه بالألوهية بل يجعل له شركاء فى صورة من صور الشرك سواء بالنبوة أو بالتثليث أو بتصور الله سبحانه على غير حقيقته وتصور علاقة خلقه به على غير حقيقتها . قال تعالى : « وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » (٢) .

---

(١) الديالكتيك كلمة يونانية أصلها دياليغو وهى تعنى فن المجادلة والمناقضة .
(٢) سورة التوبة آية ٣٠ .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » (١) .

« وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء»(٢).

« وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق » (٣) .

وأخيرا يدخل فى إطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات التى تزعم لنفسها كذبا وزورا وإفكا أنها مسلمة ، لمجرد وجود أفراد مسلمين فيها لا حول لهم ولا طول ، إن لم يكونوا فى السجون والمعتقلات وغياهب المنفى والتشريد والاضطهاد .

هذه المجتمعات لا تدخل فى إطار المجتمع الإسلامى لأن بعضها يعلن صراحة عدم علاقته بالدين أصلا ويجاهر بعدائه للإسلام أساسا ، وبعضها يعلن أنه يحترم الدين ولكن على أن لا يتجاوز المسجد والمقبرة والحفلات الرسمية ويفصل الدين عن الحياة وعن الدولة وأنظمة الاجتماع ، والسياسة ، والاقتصاد ، والحرب ، والتعليم ، والمال وما شابه ذلك من مرافق الحياة برمتها .

وأنا مهما أسهبت وأطنبت فى الدلالة على إنهيار مجتمعنا وتمزقه وتخاذله وتشرذمه لا أرانى مستطيعا أن أفى الموضوع حقه من التصور والإيضاح ، وتعداد جراثيم الداء وعلة البلاء لأن فى مخيلتى الكثير والكثير .. أحار ما آخذ و ما أدع .. ولذا أقتطف القليل الذى يقدم البرهان ، ويلقى مزيدا من النور على الواقع البغيض المرير الكريه الذى نحياه ، وهى تمثل نقطة من بحر ، ورملة فى شاطىء مما نكيد به لأنفسنا ومجتمعنا وأمتنا حين تخلينا عن أوامر عقيدتنا ، وحوافز ديننا ، وبواعث حضارتنا ، وشرف تراثنا ، وإسلامية عاداتنا وتقاليدنا ومفاهيمنا وأعرافنا وتطلعاتنا ، نعم أضعنا الإيمان ، فاضطربت المسيرة ، وعميت البصيرة ، وحبطت أعمالنا وفقدنا سبيل النجاة .

وأنا لست متشائما ولا قانطا ، لأن الإسلام علمنى أن لا أقنط من رحمة ربى .. و لا أيأس من فرجه .

ولا أقول ما أقوله تشفيا ولا تفصحا .. بل هو صرخة التفجع ، وصيحة النذير أطلقها لأول مرة على الداء وجرثومته وعلى الدواء ومستودعه وطريقة تجرعه واستعماله .

مجتمع ننظر اليوم إليه بعد رحلة الشقاء فى قلوبنا المجرحة وأحلامنا المصوحة ، فى أيدينا المرتعدة ، وسيوفنا المثلمة ، فنجد أننا خسرنا كل شىء يوم خسرنا الإيمان ،

---

(١) سورة المائدة آية ٧٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٤ .

(٣) سورة المائدة آية ١٨ .

وأضعنا كل شيء يوم أضعنا حافز العقيدة والدين ، وحين لا يكون إيمان ولا يكون توحيد لا تكون عزة ولا كرامة ولا نخوة ولا حمية ولا شهامة .

مجتمع أصبح مباءة لكل الضلالات والجهالات والخرافات ، ومجالا مفتوحا لعقائد أخذناها لنستر بها عُرْيَنَا فعرينا ، ومبادىء اقتبسناها لننسج منها آمالنا فنسجنا بها أكفاننا .

مجتمع أخذنا فيه من ثورات الدنيا جميعا شعارا واحدا لا ثاني له . نقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ننهى عن المعروف ونأمر بالفحشاء والمنكر والبغى نجعل السنة بدعة والبدعة سنة .

مجتمع جهلنا فيه كل خير وبناء وتعلمنا كيف نهدم الفضائل ونشيد الرذائل وكيف ندمر الحق ، ونفتخر بالباطل وأنصاره ، وكيف نحقد ونكره ، وكيف نشيد على الرمل ، ونبنى على صفحة الغبار

مجتمع من أبطأ به عمله أسرع به نفاقه ومن قعد به صدقه ركض به كذبه .

مجتمع أحقاد وضغائن وكراهية يقابله ويعادله حكم يقوم على القمع بدل الإقناع ، وعلى الجهل بدل العلم ، وعلى الفساد بدل الإصلاح ، وعلى الكفر بدل الإيمان .

مجتمع ينصر الكذب ، ويدعم الفساد ، ويؤيد الإلحاد ، ويتنكر للقيم الأخلاقية ويجانب الأحكام الإسلامية .

أصبح حقل تجارب لتطبيق دساتير الكفر وقوانين الإلحاد ، تطبيقا حَذِقاً لئيما لتدمير قيمنا الروحية ، وأصولنا الحضارية ، ومبادئنا الأخلاقية ، وتقاليدنا الإسلامية ليسهل على الكفر افتراسنا دون عناء فتشرذمت مجتمعاتنا ، وانتكست مقوماتنا ، ووقفنا فى عرينا الذليل لا نقوى على دفع الأعداء ، ورد البلاء ، والذود عن الكرامة .

مجتمع تستشرى فيه المؤامرات على الإسلام والمسلمين ، فيبنى أعداؤنا ونهدم ، يربضون على صدورنا ، ويدنسون مقدساتنا ، ويحتلون أرضنا ، ويشردون أهلنا ، ويهتكون أعراضنا ، فنلقاهم نحن بنباح الشعارات ، وعواء المهاترات ، وصخب النقاش البيزنطى .

مجتمع هجمت علينا فيه عقائد الكفر قاطبة تشوه ثقافتنا ، وتمرغ كرامتنا وتجتث جذورنا ، وتركنا كغثاء السيل ، قد أضعنا هويتنا فى هدير تياراتها الضالة ، وأنكرنا أنفسنا فى دكاكين شعاراتها ، ودهاليز معمياتها ومسمياتها ، وحسبنا-لجهلنا ، وفقر عقولنا-أننا قد هتكنا أستار الغيب ، وبلغنا أبراج السماء ، وإذا بشمس الحقيقة طلعت فإذا بالأجنحة التى طرنا عليها مع أوهامنا شمع يذوب عند أول لمسة ، وورق يهزأ به الإعصار وتحطمت أقنعة الزيف لأنها من عند غير الله تعالى ، ويمسنا العدو مسة فننتهك ونتمزق وإذا بنا عشرون عاما نركض فى فراغ ونلهث وراء سراب ضاعت الكرامة ونفقت العزة ، وبقى لنا الخزى ولطخات العار .

مجتمع يلتجىء إلى خصمنا فى أشد الأيام عصوبة وحرجا واضطرابا ..

يلتجىء إلى هيئة أمم ، ومجلس أمن ، ومحكمة عدل دولية لإنصافنا وإعادة الحقوق لنا ، ويستعين بصندوق النقد الدولى لحل أزماته المالية ، ومن أين لنا الإنصاف منها وكلها أقيمت لمحاربة ديننا ، وتشويه عقيدتنا (١) وتدمير حضارتنا ؟.

فهيئة الامم تقوم على أساس النظام الرأسمالى وهو نظام كفر علاوة على أنها أداة فى يد الدول الكبرى لتسخرها من أجل فرض سيطرتها على الدول الصغرى ، وخاصة الدول القائمة فى العالم الإسلامى ، وهى تعمل لإبعاد الإسلام عن ميدان الصراع العالمى (٢) .

ومجلس الأمن اقيم للاتفاق ما بين دول الكفر الكبرى على طريقة معينة لاقتسام ثروات العالم الإسلامى وخيراته ولافتراسه واستعباده .

ومحكمة العدل الدولية تحكم بنظام ، والاحتكام إليها احتكام لغير ما أنزل الله وهل هناك عدل بغير شريعة الله وحكمه ؟ ..

وصندوق النقد الدولى يقوم على إقراض العملات الصعبة بالربا وعلى أساس الصرف الحرام شرعا ، ناهيك عن أنها أداة لاستعباد البلاد الإسلامية اقتصاديا .

مجتمع سياسة التعليم فيه فشلت فى أداء رسالتها الإسلامية ، ونجحت فى رسالتها اللاإسلامية عندما أقامتها على نقيض متطلبات العقيدة الإسلامية .

يذهب طلابنا إلى الجامعات والمعاهد الشرقية والغربية وهو خاوى الوفاض ، بادى الأنقاض ، فتتلقفه التيارات المذهبية الهادمة لعقيدتنا ، ويصنع عقله على الوجه الذى يريده أعداؤنا فيعود إلينا بلا دين .. بلا إيمان .. ومغسول الدماغ ، ملوث العاطفة ، خير ما يستطيعه قصة مملوءة بالعنف والهزء بالإسلام والمسلمين .

ويكفى أن نعلم أن الأكثرية الساحقة من الأساتذة الجامعيين الذين أنشأوا الدراسات الشرقية والغربية هم يهود صهيونيون ، أو نصارى مسيحيون أو شيوعيون ماركسيون ، يتلقى عليهم طلابنا ، الأدب العربى ، والتاريخ العربى ، والعلوم العالمية

---

(١) نشرت منظمة اليونسكو حديثا فى المجلد الثالث من كتاب تاريخ البشرية ص ٤٥٠ ـ ٥٤٦ تزعم فيه أن الإسلام احتفظ فى ركن الكعبة بالوثن المهم لأهل مكة وهو الحجر الأسود وتدعى أن الإسلام كان توفيقا بين نظريات مسيحية ويهودية ووثنية ،وأن القرآن مؤلف تأليفا بشريا وأنه ذو مراتب مختلفة فى نسقه وفى طريقته .. الخ .

(٢) وقف مندوب أمريكا فى هيئة الأمم قائلا : إن الصراع الحقيقى فى الشرق ليس بين العرب واليهود إنما الصراع الحقيقى هو ما بين حضارة الإسلام ، وحضارة الغرب فإذا أستطعنا أن نزيح حضارة الإسلام عن ميدان الصراع هان علينا تصفية القضية وسهل علينا الجمع ما بين العرب واليهود .

فتغدو العقول متخمة بالزيغ والضلال ، تتنكر لتراثها الإسلامى ، وتلهث وراء الشعارات المنخوبة » المجلوبة المصنوعة فى أروقة الصهيونية والاستعمارية .

يقول محمود أمين فى مقال له عن الحرية الأكاديمية بأخبار اليوم بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ م " يجب على الجامعات – فى العالم العربى – أن توفق بين حرية البحث والالتزام الجماعى يجب أن تحقق حرية سياسية تستطيع تدعيم وتطوير المضمون الاجتماعى لثورتنا ، وعدم التعصب لديننا « الإسلام » " .

هكذا يريدون – رضعاء ألبان الغرب والشرق – للجامعات الإسلامية أن تعتنق مفهوم الحرية مع الالتزام بغير الإسلام .

هرطقة مفكرين ، غسلت أدمغتهم فى دهاليز الكفر تحت ستار حرية البحث مع الالتزام بغير الإسلام سياسة تعليم هى ضد عقيدة سلفنا الصالح ، محبوكة بمهارة مخيفة وحذق لئيم ونحن ما نحن .. لم تعرف الدنيا فى قديمها وحديثها أمة تخدع أبناءها ، وتكذب على نفسها وترتد عن شريعتها ، وتتآمر على تراثها كما نفعل اليوم .

عبث كتّاب ، إلى فساد محررين ، إلى هرقطة مفكرين .

مجتمع يقول فيه الكاتب سلامة موسى فى كتابه اليوم والغد ..

« إن الرابطة الدينية وقاحة ، فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا ؟؟ » .

ويقول جميل معلوف « إن الأجانب يحتقروننا بحق ، ونحن نكرههم بلا حق إن خلاص الشرق يتوقف على تفرنج الشرقيين بكل معنى الكلمة .. لا عهدة شرعية تربطنا بإسلامنا .. يجب أن نكون أبناء اليوم لا بقايا الأمس » .

ثم ينصح رضعاء الحضارة الغربية أمتهم فيقول كبيرهم :

« فلنولى وجهنا شطر أوربا ، لأن استناد الشرقيين على الدين فى أحوالهم العالمية عمل عقيم يبعدهم عن محجة التقدم » لا بل إننى – كما يعبر جميل معلوف –

أجد بلاء الشرق كله من الأديان ، ومصيبة الشرقيين ، من الأنبياء ..

ويدعى رضعاء الحضارة الغربية الكافرة أيضا .

أن فصل الدين أمر واجب لتقدم الشرق كما تقدم الغرب و بدونه لا يستطيع الشرقى أن يدخل فى دائرة المدنية ، ويتمتع بنفس الحرية الحقيقية .

مجتمع يقول فيه أحد دعاة القومية العربية :

« العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية فى هذه الحياة الدنيا .. »

« ولئن كان لكل عصرٍ نبوةٌ فإن القومية العربية لهى نبوة هذا العصر فى مجتمعنا العربى .. »

مجتمع أين تراثنا الإسلامى فيه من صراعات يخبو معها كل ضياء ، وشعارات يضيع معها كل رجاء .

وأين يكون الشفاء ، وصوت الحق أبح ، ونقيق الضفادع يصم الآذان ، أين يكون الخلاص والراية فى يد من استغنوا عن الصمود بالقعود ، وعن الجهاد بالفساد ، وعن المروءة بالصغار .

مجتمع مصائبه نفذت إلينا من خلال تفريغنا مضامين عقيدتنا فى الله ، وهجرنا لمفاهيم تراثنا وتعاليم سلفنا الصالح ، وتنكرنا لديننا وحضارتنا .

مجتمع يعتبرك مجرما مستحقا للقتل والتمثيل ، لأنك تنتقد ظلم الظالمين وتطالب بتحكيم دين رب العالمين .

ففى تاريخ ٢٤ / ١ / ١٩٦٥ م دخلت الدبابات لأول مرة فى تاريخ دمشق مسجد بنى أمية تفتك بالمصلين ، والموحدين فاستشهد منهم المئات وأغلق الجامع أياماً لإزالة ما علق بأستاره ومحرابه من جثث المصلين ، ودماء الراكعين الساجدين لا لشىء إلا لأنهم طالبوا بالعيش تحت حكم الله ، وبتطبيق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى د يارهم .

وفى ذلك اليوم قال مذيع دمشق فى بيان رسمى : « إننا لن نسمح لمن كانوا يعيشون فى هذه البلاد قبل ألف وأربعمائة سنة أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة ، وأن يضعوا لنا أسس حياة « إسلامية » نعيشها فى هذا العصر المتطور » .

مجتمع تزيف فيه المبادىء الإسلامية ، وتزور الحقائق الإيمانية ، ويطالب بالتحرر من العقائد الدينية ويعلن فى الصحف الرسمية بـ « أن الله فكرة متحجرة يجب أن تحفظ فى متاحف التاريخ كما ورد فى مجلة " جيش الشعب السورى » قبل خوض حرب حزيران الكئيب بأيام قليلة فقط ، ونحن لا نلوم مجلة جيش الشعب السورى ، ولا نلوم أصحاب الصحف والمقالات ، والمتحدثين فى الإذاعات بقدر ما نلوم الفئة الحاكمة التى بيدها زمام الأمور ، والتى توجه هذه الصحف والمجلات لتعرف مدى قوة الحمية الدينية ، والغيرة الإسلامية وضعفها وبعد ذلك تعلن باسمها رسميا محاربة الإسلام ، كما جاء ذلك على لسان رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة حيث الصحف والمجلات والإذاعات مهدت له السبيل ليعلن إنكاره للإسلام ، وكفره بالقرآن صراحة كما جاء فى جريدة الصباح التونسية بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٧٤ م وفى الصفحة الثالثة ما نصه :

« إن فخامة رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة أعلن قائلا » :

« إن فى القرآن تناقضا لم يعد يعقله العقل بين آية « قل لن يصيبنا إلا ما كتب

الـــه لـنا » ، وبيــن « إن الـله لا يغـير مـا بقــوم حتــى يغيـروا ما بأنفسهم » .. و استمـــر قائلا :

إن الرسول محمد كان إنسانا بسيطا يسافر كثيرا عبر الصحراء العربية ، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة فى ذلك الوقت ، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن مثال ذلك ، عصا موسى وهذا شيء لايقبله العقل بعد اكتشاف « باستور » وقصة أهل الكهف .. إن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد فهم دائما يكررون محمد « صلى الله عليه وسلم » يصلى على محمد وهذا تأليه لمحمد .

مجتمع يعتبر فيه الهزء برسول الله صلى الله عليه وسلم تقدمية ، والسخرية بزوجاته تحررية ، فقد نشـرت مجلـة « روز اليوسف » قبل فتـرة من الزمن صــورة ديك وحولـه تسـع دجاجـات وكتبت « محمد أفندى وزوجاته التسع »

ونحن كما أسلفت لا نلوم صاحب مجلة روز اليوسف إنما نلوم الطغمة الحاكمة التى رخصت وحرست وراقبت ووافقت على مقالات مجلة روز اليوسف .

ترى لو نحن حاربنا المنكرات والموبقات فى هذه المجلة .. و طالبنا فيها بتطبيق حكم رب العالمين لم تمنعها الطغمة الحاكمة وتصادرها فى تلك الثانية وفى ذلك الحين مباشرة ذلك لأنها هى التى توجهها وترعاها وتمدها بكل ما تستطيع من عون ومدد ..

وفى « كركوك » بالعراق فى عهد عبد الكريم قاسم هاجمت قوات الأمن منزل رجـل مسـن مؤمـن اتهم بعدائه للثورة – اسمـــه الحاج قادر فتشفـع عنـدهم بالقرآن الكريم يحمله فى يديه ، فمزقوا القرآن وداسوه بأقدامهم وأطلقوا على الشيـخ النار فخر مضرجا بدمه ، وعلى لســانه قـوله – لا إله إلا الله .

وتشفع آخر فى المنزل عندهم بمحمد رسول الله فقتلوه وهم يقولون :

« إن محمداً اليوم فى أجازة » ..

ويروى سعد جمعة رئيس الوزارة الأردنية سابقا أن أحد القادة قبل الحرب مع إسرائيل ذكر بالله وبنصره لمن ينصره ، وبخذلانه لمن لم ينصره فقام خطيبا وقال :

« لو امتدت يد الله إلينا لقطعناها قطعا » أعوذ بالله مما يقترفون .

جاء فى جريدة النهار بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٣ :

« أن مؤلفا مسرحيا مصريا اسمه « بكر الشرقاوى » ألف مسرحية بعنوان « أصل الحكاية » عرضت فى مسارح القاهرة سنة ١٩٦٧ « سنة الهزيمة » يقول المؤلف : « إن الجديد الذى تضمنته هذه المسرحية الميتافيزيقية التاريخية الواقعية ، أنها مسرحية عربية قومية بطلها الله» !

ويقول : إنه استمد مسرحيته من وثيقة فرعونية مهملة فى المتحف المصرى تقول : بأن الإنســان خلق قبل الله .

مجتمع يعتبر فيه شتيمة الله تقدمية ، والهزء بالرسول صلى الله عليه وسلم تحررية ، وهجر القرآن تطورا ٠

مجتمع تدعو فيه الصحف إلى الإباحية الجنسية وهدم القيم الدينية واستنكار الزواج،فقبل أيام نشرت مجلة صباح الخير مقالا جاء فيه :

"إن نظام الزواج فى وطننا العربى هو نظام مضحك يدعو الى السخرية ٠ مهر وعقد ٠٠ مظاهر جوفاء تقتل فيها الإرادة وتقتل المشاعر الانسانية ٠"

ويدعى الكاتب أن سيدة أرسلت إليه خطابا تقول : إنها تحب البحر وتهـــوى الاستحمام فيه ولكنها تصلى وتخاف من الله لظهورها عارية عند نزولها البحر وهى لا تستطيع عدم النزول إليه وتطلب رأيه وإرشاده فماذا كان جوابه ٠٠ لقد أجاب : " من قال إنك عارية عندما تسبحين فى البحر ؟ إن البحر هو قمة الطهـــــارة وكمال الاحتشام ، وعندما تغطيك الأمواج وتلتف حول جسمك مثل الرداء فأنت ترتدين ثوب السمكة،وهذا الثوب يجعلك قريبة من الله فى الصيف اكثر من قربك إليه فى الشتاء وانت تصلين بين الجدران وصلاتك هى لحظات التأمل التى تعيشينها بين الطبيعة وحبك للبحر هو حبك لله نفسه"!!!

مجتمع يحتكر فيه الجهلة مناهج العلماء وتكون فيها القاعدة هى الفساد والرذيلة والشذوذ هو الصدق والإخلاص والفضيلة !!

مجتمع الحضارة الاسلامية فيه من مخلفات عصور الظلام ، وتراث السلف الصالح من مخلفات الانحطاط ، بطولاتنا الإسلامية ليست منا ولا نحن منها لأننـــا تقدميون اشتراكيون ديمقراطيون ، ثوريون بأخلاق ثورية وعواطف ثورية ، وأفكار ثورية ومفاهيم ثورية ، وهزائم ثورية أيضا ٠

مجتمع يستحى أن يحارب تحت راية محمد صلى الله عليه وسلم ويخجل أن يعلن أن غايته إعلاء كلمة الله ويختار له بعض كتابه الكفر على الإسلام ٠

يقول جميل معلوف : " إذا اضطررت أن أختار لأبناء وطنى واحدا من أمرين الكفر أم التعصب فاختار لهم الكفر لأن به يتوحد مبدؤهم ٠ فيكسبون الدنيا على الأقل ٠٠ "

مجتمع الوطنية والقومية أصبحت فيه سمسرة وتجارة بوزن وحساب ، فأنت وطنى على قدر ما يعلو هتافك فى ركب الأفاقين والدجالين والخائنين . وأنت خائن على قدر اعتصامك بدينك وإيمانك بربك ٠

مجتمع عفن مهتوك قد امتطى غارب الأحداث فيه السفهاء والجهلة وغثاث المعرفة والسلوك يلوكون شعارات مجلوبة ، ويجترون عقائد منخوبة ٠

مجتمع الحق غريب فيه ، والموحد منبوذ به ، والشريف يتيم على موائد اللئـــام

مجتمع كهذا تتهاوى فيه مقومات الأمة الإسلامية ، وتضمر شخصيتها ، فتنصرف

عن البناء إلى الهدم ، وعن الوحدانية إلى الشرك ، وعن التلاحم والتماسك إلى التفسخ والانحلال .. وعن مواجهة العدو ومعارك الإيمان إلى معارك ضالة يقتتل فيها الإخوة لتآكل الطاقات ، وتنزف الدماء ، وتلطخنا بعار الدنيا ، وشنار الآخرة .

مجتمع يذكرنى « بنيرون » الذى نصب حصانه حاكما على روما ويذكرنى بالشاعر الرومانى « كاتول » الذى نظم قصيدته يهيىء فيها نفسه للموت لا لشيء وإنما لأن فلانا من بنى قومه قد أصبح قنصلا وليس للقنصلية بأهل .

ترى ماذا كان يصنع بنفسه هذا الشاعر لو عاش بيننا حيث يستأسد الأذلة على الأغرة ، ويتنمر السفاحون ، ويجرم الموحدون كلا والله لن نهىء أنفسنا للموت بل سنكافح ونناضح حتى أمر الله سائرين على المحجة البيضاء ، التى تركنا عليها نبينا صلى الله عليه وسلم متخذين من سيرته وجهاده ودعوته ، منهجا نسير عليه ونبراسا نستضىء بنوره في ظلمات مجتمعنا الحالكة .

مجتمع أضاع الإسلام ، وهجر القرآن ، ونبذ الإيمان فهانت عليه عزته وكرامته وسهل عليه فقدان شرفه وأرضه وأمته .

يقول « يوجين روستو » المستشار الأول للبيت الأبيض خلال البرهة التى تكامل فيها توطيد دعائم إسرائيل كدولة :

« لكى يغدو بإمكاننا تفهم الوضع في الشرق الأوسط ، يجب أن ندرك أن المشكلة هى مشكلة صراع بين حضارتين : الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية لا مشكلة قيام إسرائيل ؟! فلا بد من إبعاد الإسلام عن الصراع » .

يا إخوة الإيمان :

إن الكافر يعلم حق العلم أن لا حياة ولاسيادة له بالإسلام علينا ، لأن الإسلام يحتم على أتباعه أن يكونوا أعزة في ديارهم ، كراما في أوطانهم ، وهذا أمر لا يقره الاستعمار ولا يرضاه .

والطغيان واثق كل الثقة أن لا وجود له بالإسلام لأن الإسلام أول ما يحارب الظلم والطغيان والانحلال والفساد والتهتك والإلحاد ومرهون بقائها بانعدام الإسلام ومرهون موتها ببقاء الإسلام .

فى سنة ١٩٢٠ م عقد فى « باكو » مؤتمر شيوعى صهيونى كبير دعا إليه الزعيم السوفياتى الصهيونى « رادبيك » وترأس حفل انعقاده « تروتسكى » وزير حربية روسيا حينذاك .. وانتهى إلى مقررات واضحة لا لبس فيها تهدف إلى محاربة العقيدة الإسلامية فى طباع العرب لكى لا يقووا على الوقوف فى وجه الشيوعية الدولية والصهيونية العالمية ، وهكذا كان الأمر .

بعد إتمام معاهدة لوزان فى ٢٤ تموز سنة ١٩٢٣ م واعتراف الدول باستقلال تركيا وانسحاب الإنجليز من استانبول قام على أثر ذلك أحد النواب الإنجليز واحتج

على « كرزون » في مجلس العموم لاعترافه باستقلال تركيا فأجابه كرزون قائلا : « القضية أن تركيا قد قضى عليها ، ولن تقوم لها قائمة لأننا قضينا على القوة المعنوية فيها « الخلافة والإسلام » .

وقال « وليم جيفور بالكراف » – متى توارى القرآن ، ومدنية مكة عن بلاد العرب ، يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى حضارتنا التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه .

وقال مستر « جلادستون » رئيس الوزارة البريطانية في عهد الملكة « فيكتوريا » فى مجلس العموم وهو يرفع القرآن بيده : « ما دام هذا الكتاب فى أيدى المصريين فلن يقر لنا قرار فى تلك الديار » .

ونشرت « الديلى تلغراف » فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٨ مقالا بعنوان : طريق الإسلام لمحو الديمقراطية – حول الانتخابات الباكستانية الأخيرة جهد كاتبه خرقا وتفاهة أن يثبت أن « الإسلام » عدو كل تقدم اجتماعى ولذلك لا يصلح الإسلام أساسا للدستور الباكستانى الجديد ، لأن هذا سيجعل باكستان تقف معادية للحضارة الغربية ومفاهيمها .

ونشرت جريدة « التايمز » بتاريخ ١٩٧٠/٣/١٤ م مقالا غداة إقصاء سلطان عمان تقول فيها : « إن الأوضاع الإجتماعية والسياسية فى عمان كانت بالغة السوء والتخلف لأنها ظلت على ما كانت عليه زمن النبى محمد « صلى الله عليه وسلم » .

وقال « أرنولد توينبى » فى كتابه الإسلام والشرق والغرب : « إن إمكانية توحد المسلمين باسم الإسلام إمكانية مدمرة سيكون للإسلام فيها ردة فعل عنيفة جدا ضد الغربيين .. إلى أن قال : صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة ، ولكن يجب أن نضع فى حسابنا أن النائم قد يستيقظ وعندها يمكن أن يتحرك ليلعب دوره التاريخى .. وأرجو أن لا يتحقق ذلك » .

وقال « صموئيل زويمر » : رئيس جمعيات التبشير فى مؤتمر القدس : « أيها الإخوان الأبطال والزملاء ممن كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية و استعمارها لبلاد الإسلام .

لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن الأداء .. و وفقتم لها أسمى توفيق ، لقد أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية .. وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقا لما أردناه لا يهتم بالعظائم .. ويحب الراحة و الكسل ، فإذا تعلم فللشهوات و إذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات .. لقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله » .

قال « كاسترو » للسفير الإسرائيلى الجديد فى كوبا كما ورد فى جريدة كراما ، ومجلة « كوبا سوشياليستا » الكوبيتين : « إن حركات الفداء الفلسطينى ستفشل لأنها ضعيفة عقائديا .. ونصح الدكتور كاسترو السفير الإسرائيلى بأن تحول إسرائيل بكل قوة دون اتخاذ حركات الفداء طابعا إسلاميا دينيا ، لأن ذلك يجعلها شعلة تستقطب

حماس الملايين من المسلمين ، ويجذب إلى المعركة جماعات ودولا إسلامية تجعل من المستحيل الإبقاء على الكيان الإسرائيلى ، وإنه يحسن بإسرائيل أن تسعى فى نهاية المطاف لتقوم حولها أنظمة اشتراكية ثورية ، تلهى حركات التحرر عن اللعب بنار العقائد الدينية الإسلامية وتنشغل هذه الحركات بمهام التحرر الاشتراكى وبذا يتم التعايش السلمى بين الاشتراكية العربية ، والاشتراكية الإسرائيلية .

نشرت مجلة « النظرة الجديدة » التى تصدر فى « تل أبيب » عدد رقم ٧ تاريخ ٧ شباط ١٩٥٨ م مقالا عن عضو عمالى فى مجلس العموم البريطانى اسمه « فنربروكوى » ينسبه إلى « ميشيل عفلق » الأمين العام لحزب البعث حول رأيه فى الاتحاد مع إسرائيل باسم الاشتراكية . جاء فيه كما يقول العضو العمالى البريطانى بالحرف الواحد :

« إن الاستاذ « ميشيل عفلق » الأمين العام لحزب البعث الاشتراكى ، قد أشار لى وللدكتور « ليون تزور » أنه على استعداد للدخول فى مناقشات مع الاشتراكيين اليهود على أساس اتخاذ عمل مشترك لإقامة اتحاد اشتراكى للشرق الأوسط .. والأستاذ « عفلق » يقول بكل صراحة إنه يعتقد أن الشعب اليهودى قد أتى للشرق الأوسط ليبقى فيه » .

أعلنت الشاعرة « فدوى طوقان » فى صحيفة إسرائيلية : أنها تنكر وجود الله فتقول لها الكاتبة الإسرائيلية : « لهذا بنينا وهدمتم ... وغلبنا وانهزمتم » ..

قال « ايرل برتمز » فى كتابه العهد والسيف : « الشعور المناوىء لإسرائيل تقوم به فى البلاد العربية العناصر التى يسمونها رجعية « إسلامية » .

وفى تصريح « لبن غوريون » فى الكنيست قال : « اصبروا فلن يكون هناك سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين ، إن الشرط الأساسى للسلام ، هو أن يقوم فى البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدمية متحررة من التقاليد « الإسلامية » .

وقال المؤرخ « جورج لينشوفسكى » فى كتابه « الشرق الأوسط فى المحيط الدولى » « هناك شواهد كثيرة أقنعت إسرائيل ، أن تحول الدول العربية إلى مجتمعات يسارية ، هو الحل الوحيد لانصراف أوتوماتيكى عن المواقف العدائية إزاء الصهيونية العالمية .

يقول « جى موليه » رئيس وزراء فرنسا السابق : « إن الحركة الإسلامية التى تنمو وتمتد فى إفريقيا تهدد الإمبراطورية الفرنسية فى المغرب وغير المغرب ، وما كانت إلا باسم « الإسلام » .

يعترف الكاتب الفرنسى « فرانسيس جانسون » : أن الاحتلال الفرنسى للجزائر كان منذ البدء كان يحمل طابع الحروب الصليبية : التبشير والاستعمار .

يقول « ألان مورهيد » : مؤلف كتابى « النيل الأبيض والنيل الأزرق » : إن احتلال الإنكليز لمصر سنة ١٨٨١ كان لمواجهة مؤامراة إسلامية خطيرة وتيار محمدى متعصب » .

مجتمع يقتدى فيه زعماء بعض الدول الثورية وكتابها ورجال النهضة فيها بأعدى أعداء الإسلام ، " بمصطفى كمال أتاتورك " الذى هدم الخلافة والإسلام ويصفونه بأجمل الصفات ، وأفخم الألقاب ..

والغريب فى الأمر أن دائرة المعارف الماسونية فى صفحتها ١٦٢ سبقت هؤلاء بالثناء والإطراء على « مصطفى كمال أتاتورك » حيث جاء ما نصه :

« إن الانقلاب الذى قام به الأخ العظيم « مصطفى كمال أتاتورك » أفاد الأمة « الماسونية » فقد أبطل السلطنة ، وألغى الخلافة الإسلامية وأبطل المحاكم الشرعية وأبعد دين الإسلام عن الحياة » .

أليس هذا الإصلاح هو ما تبتغيه الماسونية فى كل أمة ناهضة فمن يماثل أتاتورك ؟ .. (١).

نعم : لقد رسم اليهود والصليبيون الخطة في مؤتمر « لوزان » المنعقد في ٢٠ تشرين الثانى سنة ١٩٢٢ والذى حضره وفد حكومة أنقره الممثلة لتركيا واشترطوا فيها على « مصطفى كمال أتاتورك » خمسة شروط كى يمنح الحلفاء الاستقلال لتركيا :

الشرط الأول : أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

الشرط الثانى : أن تلغى الخلافة الإسلامية إلغاء تاما .

الشرط الثالث: أن تختار دستورا مدنيا بدلا من الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة الشرعية

الشرط الرابع : أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار حكم الإسلام ، ومنع كل حركة تعمل لإعادة دمج الدين بالحياة .

الشرط الخامس : أن يطرد الخليفة وتشوه سمعته .

لقد نفذ الماسونى « مصطفى كمال أتاتورك » الخطة كما أرادها الماسون لهم بكل وفاء وإخلاص ، واستحق ثناء الماسون له ، أما ثناء زعماء ثوريين يحكمون بلادا عربية

---

(١) يقول المؤلف « بنوميشان » أن « مصطفى كمال أتاتورك » كان من كبار أعضاء الماسونية في « سلانيل » وكان من محفل « دافانا » ، انظر كتاب مصطفى كمال » أو موت امبراطورية استانبول ص١١١ ويؤكد الدكتور أرنست رامزور بأن « مصطفى كمال » كان من أقوى منظمى النشاط الماسونى ، اليهودى ، السرى .. انظر كتاب تركيا الفتاة ص.١٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ويوضح الكاتب الألمانى - « واجوبرت فون ميكوشى » - بأن « مصطفى كمال » كان قد أعطى صلاحيات واسعة من قبل المحافل الماسونية عامة ومحفلة خاصة - دافانا - كى يستغل اسم الدين للقضاء عليه وأن الحلفاء سيبذلون كل إمكانياتهم فى مساعدته للوصول إلى مركز القيادة باسم الدين أولا ثم رسم الخطة لمحق الدين ثانيا . وقد اعتمد المؤلف على وثائق عديدة - إنجليزية و فرنسية وإيطالية وتركية .. كما أنه ترجم مذكرات « مصطفى كمال » ذاتها واعتمد على المعلومات السرية التى جمعها من أعضاء حزب الشعب - حزب « مصطفى كمال » - بعد موته فجاء كتابه تحفة تاريخية فى بيان الدور اليهودى الماسونى الذى قام به « مصطفى كمال أتاتورك » انظر - كتاب مصطفى كمال المثل الأعلى ص١٨٢ - ناهيك عن أن أكثر من أربعين كاتبا وضابطا وباحثا أثبتوا ماسونية « مصطفى كمال » وقد أشرت لذلك في كتابى « البيعة فى الإسلام » بشكل وافر فليراجع .

إسلامية فأمر يدعو للاستغراب ووضع إشارات الاستفسار حول العلاقة ما بين ذاك الماسونى وما بين بعض زعماء المجتمع الجاهلى ، وإذا سمحتم لى أن أعدد لكم بعض المزايا والأعمال التى قام بها "مصطفى كمال أتاتورك" حتى استحق ثناء بعض زعمائنا وكتابنا فهاكم ذلك ٠

أولا : أعلن علمانية الدولة وفصل الإسلام عن الدولة والحياة ، وتبنى القانون المدنى السويسرى وقانون الجرائم الإيطالى وأمر بتحريق مصادر الفقه الإسلامى ٠

ثانيا : اضطهد علماء الإسلام أبشع اضطهاد ، وقتل منهم العشرات وعلق جثثهم على أعواد الشجر بأقمشة عمائمهم ٠

ثالثا : أغلق المساجد وحرم الأذان باللغة العربية ، واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية ليقطع ماضى الشعب التركى عن حاضره ومستقبله ٠

– ألغى وزارة الأوقاف ، ومنع الصلاة فى جامع "أيا صوفيا" وحوّله إلى متحف أبرز فيها التماثيل القديمة ٠

– ألغى قوانين الميراث والزواج ، والأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية ، وحرم تعدد الزوجات ، وساوى بين الذكور والإناث فى الميراث ٠

– شجع المرأة التركية والفتاة والشاب على الدعارة والفجور ، وأباح المنكرات والموبقات وضرب بنفسه المثل الأعلى على انحطاط الخلق ، والإدمان على الخمر والفساد والانحلال ٠

– منع حجاب المرأة المسلمة ، وعمامة الرجل المسلم ، وأمر بلبس قبعة الغرب ، واتخاذ شعار الغرب الكافر شعارا من دون شعار الإسلام (١) ٠

– فتح باب تركية على مصراعيها ليدخل منها علماء اليهود الذين نبذتهم ألمانيا واتخذ منهم وليجة ، وبطانة ، ووزراء ، ورؤساء من دون المسلمين ٠

– أسس حزب الشعب الحاكم اليوم ومارس عن طريقه عملية الإرهاب والبطش بكل تراث إسلامى ، وبكل فئة مؤمنة تعمل لإعادة الخلافة ، واستئناف الحياة الإسلامية ٠

– أمر بحذف كل كلمة عربية من اللغة التركية لأنها لغة القرآن وفرض العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدلا من وقت صلاة الجمعة ٠

---

(١) وبلغ الأمر بمصطفى كمال أتاتورك وصديقه عصمت اينانو أنهما قالا : يجب أن نقلد الغرب فى أخلاقهم وتقاليدهم حتى أن الديدان الموجودة فى أمعائهم وبطونهم يجب أن تكون فى بطوننا وأمعائنا ٠

ألهذه المآثر والأفعال والخصال استحق هذا الماسونى ثناء زعمائنا وكتابنا ورجال النهضة فى بلادنا ·

ترى ما هى العلاقة ما بين ذاك الماسونى الذى تفخر الماسونية به وبأفعاله وما بين هؤلاء الذين يتخذونه قدوة وأسوة من دون رسول رب العالمين ؟ ·· إشارات استفهـام أضعها وأترك لإخوة الإيمان البحث عن الإجابة عنها ·

مجتمع يضج الباطل فيه ويصخب ، ويرفع صوته ، وينفش ريشه ، ويقف المؤمن الموحد قابضا على دينه كالقابض على جمرة من النار فى المجتمع الشـارد عن الدين والفضيلة والقيم ، ويقف الآخرون هازئين من وقفته ، ساخرين من توحيده ، ضاحكين من خشيته لله وهو يقول لهم : « إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون » ·

لا بد لى أن أستعرض بقدر ما يسمح الوقت · موقف الإسلام ودوره من المجتمـع الجاهلى فى أشد الساعات حرجا وحيرة واضطرابا ، ترى هل هو التخلص الكلى من هذا المجتمع الجاهلى وتصوراته ، وتقاليده الجاهلية ، وأفكاره الجاهلية ، ومفاهيمه الجاهلية ·

أم هو أن نوافق هذا المجتمع الجاهلى ، وأن ندين له بالخضوع والولاء ، أم أن مهمتنا أن نغير من أنفسنا أولاً ليتغير المجتمع الجاهلى أخيرا ·

أم أن عملنا هو تغيير واقع هذا المجتمع الواقع الذى يصطدم اصطداما أساسيا بعقيدة التوحيد ، وبمنهج التوحيد وبتصورات الوحدانية ·

أم أن عملنا أن نستعلى على هذا المجتمع الجاهلى وقيمه وتصوراته ، ومفاهيمه وأفكاره ، وأن لا نعدل نحن فى قيمنا ، وتصوراتنا قليلا أو كثيرا ولو كلفنا هذا عنتـا ومشقة وتضحيات باهظة تبدلنا من هذه التساؤلات لنعلم ما هو دورنا على وجه التحديد كيف نعالج الأمراض الجاهلية التى أصيبت بها البشرية عامة وأمة الإسلام خاصة ·· ولا بد لنا للإجابة عن هذه التساؤلات من الرجوع إلى الكيفية التى عالج بها صلى الله عليه وسلم مجتمعه الجاهلى الأول ·

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فى رحاب جاهلية عميـاء كان الناس فيها بين مشرك عاكف على وثن يعبده وقد ألقى بزمام فكره ، وعقله إلى سادنه يصوغ له عقائده كما يشاء ويرغب ، وبين كتابى لا يعرف عن دينه إلا ما قدمه له الأحبار والرهبان من تصورات مضطربة مثقلة بركام من الخرافات والانحرافات · وكان الظلم هدفا لمن أراد أن لا يستضعف أو يهان·وقد عبر عن هذا الشاعر الجاهلى زهير بن أبى سلمى فقال :

ومن لا يَـذد عن حوضـه بسـلاحه
يُهـدم ومن لا يظـلم النـاسَ يُظـلم

قال الأصمعي في شرح هذا البيت : أي من كف عن الناس أذاه ركبوه وظلموه .

ونجد إشارة أخرى إلى ظلم الجاهلية في حديث " جعفر بن أبي طالب " عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة . فقد وصف له ما كانوا فيه فقال :

" كنا قوما أهل جاهلية .. نأتي الفواحش ونقطع الأرحام . ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف " .

وكانت السلطة السياسية بيد الأكاسرة الفرس في الشرق ، والقياصرة الروم في الغرب ، وكانت بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة للروم يحكمها أمراء عرب من قبلهم عملاء لهم ، وبلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها عملاء عرب من قبلهم وليست في أيدى العرب إلا الحجاز وتهامة ، ونجد وما إليها من الصحارى القاحلة التي تتناثر فيها الواحات الخصبة هنا وهناك .

أقول بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحاب هذه الجاهلية وكانت قضية التوحيد هي التي تصدى لها منذ اليوم الأول للرسالة ، وبدأ صلى الله عليه وسلم أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وكان العرب يدركون أن دعوة التوحيد معناه تخصيص الألوهية والصفات القدسية إضافة إلى الربوبية بالله وحده دون سواه ، ولذلك استقبلوا هذه الدعوة ذلك الاستقبال العنيف ، وحاربوها حربا شعواء لأنها كانت حربا على عقيدتهم ، ومقاييسهم وقيمهم وعاداتهم ، وأعرافهم ، وتصوراتهم .

ولقائل أن يقول : إنه كان يمكن أن يكون موقف الإسلام متمثلا في محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين أن يثيرها قومية عربية تستهدف تجميع قبائل العرب التي أكلتها الثارات ومزقتها النزاعات وتوجيهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة من الامبراطوريات المستعمرة ، وبعد أن يتولى القيادة والسيادة يستخدم سلطته في إقرار التوحيد وتعبيد الناس لله ، بدلا من أن يعاني ثلاثة عشر عاما في عرض عقيدة الإسلام وصياغة المجتمع الجديد في ضوئها . ولكن الله تعالى لم يوجه رسوله هذا التوجيه ، إنما وجهه لأن يصدح بألا إله إلا الله لأن الموضوع ليس استخلاص الأرض من يد طاغوت روماني أو فارسي إلى يد طاغوت عربي .

إنما الموضوع رفع راية لا إله إلا الله التي تعني أن لا معبود بحق إلا الله ، وأن لا حاكم بعدل ولا خالق ولا رازق .. إلا الله .

ولقائل أن يقول : إنه كان يمكن أن يثيرها محمد صلى الله عليه وسلم حربا طبقية مع الفقراء ضد الأغنياء والأشراف وبعد ذلك يستخدم مكانته لإقرار عقيدة الإسلام بدلا من الابتداء بالدعوة لعقيدة لا إله إلا الله ولكن الله سبحانه لم يوجه هذا التوجيه ، وإنما أراد أن تنبثق عدالة الإسلام من عقيدة التوحيد لتكون بعيدة عن الحقد والبغضاء والحسد .

ولقائل أن يقول : إنه كان يمكن أن يثيرها محمد صلى الله عليه وسلم دعوة

إصلاحية أخلاقية صوفية حتى إذا استجاب الناس له عرض عليهم عقيدة التوحيد ، ولكن الله لم يشأ هذا لأنه يعلم أن الأخلاق لا تقوم إلا على أساس العقيدة ، تضع الموازين ، وتقرر القيم ، وإنه قبل تقرير هذه العقيدة تظل الأخلاق التى تقوم عليها متأرجحة بلا ضابط ، وبلا سلطان ، وبلا جزاء ۰

فلما تقررت عقيدة التوحيد ، عبد الناس ربهم وحده وتوجهوا إليه دون سواه بالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والصلاة والصوم والزكاة والذبح والنذر وغير ذلك ۰

وامتد سلطان التوحيد إلى الشام ومصر وتعرض للدولتين العظيمتين ، فقضى على دولة الفرس فى الشرق ، وقصم ظهر الروم فى الغرب فى أقل من نصف قرن وتطهرت الأرض من الطواغيت روما ، وفرسا وعربا لترتفع راية التوحيد وحدها فوق كل رابية وعلى كل حصن حصين استعصى على جبابرة الأقدمين ۰

نعم : صار الأمر يحتاج مرة أخرى إلى المنقذ الذى أنقذها أول مرة ولن يكون هذا المنقذ فى أى وقت من الأوقات إلا رسالة الإسلام الذى أنزله الله إلى البشرية كلها والتى بدأت مع وحدانيتها الخلقية وتسلسلت مع جميع الرسالات التى وصلت الناس بربهم الأعلى وعرفتهم ما يريده الله منهم ، لهدايتهم إلى طريق الصواب والرشاد ۰

وهذه الوحدانية أكدها القرآن بقوله تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ۰۰ »[سورة الشورى آية ١٣] .

« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » [سورة آل عمران آية ٨٤] .

« ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل »[سورة الحج آية ٧٨] .

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا » ۰

« فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » ۰

ليس موقف الإسلام من الجاهلية السائدة اليوم أن يصطلح معها أو يقبل أنصاف الحلول أو أرباعها منها، فإما جاهلية تنحرف عن العبودية لله فى نظمها وقوانينها وعاداتها وتقليدها وقيمها ، وإما إسلام وظيفته نقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام وليس هناك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه جاهلية ، فإما حق وإما باطل ، وإما شريعة الله ، وإما الهوى ۰

« فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم » (١) ۰

---

(١) سورة الشورى آية ٣٨ .

« فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » (١) ٠

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين » (٢)
« أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (٣) ٠

فهذان أمران لا ثالث لهما إما الاستجابة لله والرسول صلى الله عليه وسلم ، والحكم بشريعة الله ، وإما اتباع الهوى والضلال ، وإما حكم الله وإما حكم الجاهلية ، إما الحكم بما أنزل الله ، وإما الفتنة عما أنزل الله ٠

لم يجيء الإسلام إذن ليربت على شهوات الناس وأنظمتهم ، وأوضاعهم وتقاليدهم وعاداتهم سواء منها ما عاصر مجيء الإسلام ، أو ما تخوض البشرية فيه الآن فى الشرق أو فى الغرب سواء ٠

جاء الإسلام ليلغى الجاهلية إلغاء ، ولينشيء حياة تنبثق منه انبثاقا ، وتستنبط منه استنباطا وقد تتشابه جزئيات من الجاهلية مع جزئيات من الإسلام ولكنها ليست هى وليست منها ، إنما هى مجرد مصادفة وعرّض لا عبرة لها ، والعبرة للنظـــرة الأساسية والأصل الأصيل ، والإسلام يقوم فى نظرته الأساسية بأن الأمر لله فهو الذى يشرع وسائر الأنظمة الجاهلية تقوم فى نظرتها الجاهلية بأن الأمر للعباد يشرعـون لأنفسهم فى معزل عن الله تعالى ، وهما منهجان وأصلان متناقضان لا يلتقيان ٠

والإسلام لا يزداد كمالا فى تشابهه وتوافقه بالأنظمة الجاهلية ٠٠ وإنما كماله المطلق فى نسبته إلى صاحب الكمال المطلق وهو الله تعالى جل جلاله ٠

هذه الحقيقة فى موقف الإسلام ينبغى أن تكون من القوة والوضوح فى نفوسـنا ونحن نغزو المجتمع الجاهلى بحيث لا نتلجلج فى الإدلاء بها ، ولا نتلعثم ، ولا نتردد لنبدله من مجتمع يبارز الله بالعصيان إلى مجتمع يخضع فيه لأحكام الله ، ولا ندع الناس فى شك منها ، ولا نتركهم حتى يستيقنوا أن الإسلام حين يفيئون إليه سيبدل حياتهم تبديلا ، ولن يبقى لهم شيئا من أوضاع الجاهلية التى هم فيها ، وهو فى نفس الوقت لن يسلبهم شيئا من المعرفة المادية البحتة بل سيدفعهم إلى الأمام ٠

يجب أن نُفهم الناس أن الإسلام ليس هو أى مذهب من المذاهب الاجتمــــاعية الوضعية كما أنه ليس أى نظام من النظم الوضعية بشتى أسمائها ، واصطلاحاتها ، وراياتها ، إنما هو الإسلام فقط الصادر مباشرة من العلى الكبير ٠

إننا لن نقدم الإسلام للناس تحت عنوان ديمقراطية الإسلام أو اشتراكية الإسلام

---

(١) سورة القصص آية ٥٠
(٢) سورة الجاثية آية ١٨
(٣) سورة المائدة آية ٥٠

أو ما شابهها لأن جميع هذه المصطلحات إنما هى ذات معان خاصة تمتد إلى جذور المبدأ ، والتاريخ ، والبيئة التى نبتت فيها ، فبمجرد إطلاقها تنصرف إلى مواقعها المعهودة ، ومعانيها الخاصة المعروفة عند أربابها ، وفي ذلك تضليل أيما تضليل للمسلمين قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم » (١) .

« ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمع ، وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين » (٢) .

فقد نهى الله عن مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ راعنا رغم موافقته للفظ العربى المراد به الرعاية والحفظ وذلك أن اليهود كانوا يقولونها للنبى صلى الله عليه وسلم ويريدون بها معنى قبيحا وهو الرعونة ، وكأنهم يقولون يا راعن وقد زيدت الألف لمد الصوت وفى العبرية راعى معناها شرير وإذا أضيفت قيل راعينو أى شريرا ، ولذلك كان محرما إطلاق مصطلحات لا صلة لها بالإسلام على أفكار وأحكام إسلامية لأن جميع تلك المصطلحات غير الإسلامية كالديمقراطية ، والاشتراكية ، والثيوقراطية إنما هى ذات معان وفلسفة وتاريخ معين ، فبمجرد وصف الإسلام وأحكامه بها يثور فى الذهن أن الإسلام نسخة عنها ونموذج منها وإذا صح عند بعضهم أن يطلقوا على الإسلام و أحكامه الديمقراطية أو الاشتراكية فإنه يصح عندهم تبعا لذلك أن يقولوا مسيحية الإسلام ، ومجوسية الإسلام ، وماركسية الإسلام (*) كما يصح أن يطلقوا على كل عالم من علماء الإسلام مطرانا ، أو راهبا أو قساً أو غير ذلك من التسميات التى تغاير الإسلام : ولو أن المنادين باقتباس مصطلحات الكفر المتأثرة بعقيدتهم نادوا باقتباس الجانب العلمى المادى الذى ينشأ عنه رقى الصناعة ، وزيادة الإنتاج ، ونمو العمران ، ما كان فى ذلك بأس ولا حرج لأن العلم المحض المادى عالمى لا دين ، ولا جنسية ، ولا عقيدة فمن انتفع بقانون « أرشميدس » لم يكن به يونانيا ، ومن

(*) كما أدلى الرئيس الصومالى « محمد زياد برى » لمجلة « روزاليوسف القاهرية » في عددها رقم ٢٤٨٦ وتاريخ ٢ فبراير ١٩٧٦ : « أنا مسلم .. وأيضا أنا ماركسى » الكل يعرف أننى ماركسى .ولكننى مسلم !! ومثل ذلك ما ينادى به الكاتب المصرى " نجيب محفوظ " بانه يسارى مسلم .. إلى جانب مجموعة كبيرة من الكتاب والصحافيين الذين انطلقوا من هذا الجانب . انظر أخبار العالم الإسلامى العدد ٤٦٦ يوم الاثنين ٢٣ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٣ فبراير ١٩٧٦ م

ويوضحه ما جاء فى مجلة " الحوادث البيروتية " فى العدد ١٠٠٥ وبتاريخ ١٣ فبراير ١٩٧٦ م تحت عنوان " العلمانية على الخريطة الإسلامية " لأن المقال يبحث أن أكثر الدول الإسلامية تنص دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ومع ذلك فهى تتبع بل وتطبق الاشتراكية كأسلوب حياة وانتماء ..

(١) سورة البقرة آية ١٠٤ .

(٢) سورة النساء آية ٤٦ .

أخذ بنسبة " أينشتـاين " لم يصر مسيحيـا ، ومن اقتبس قانون الجاذبية لم يصبح انجليزيا كما أنه من اقتبس نظريات ومكتشفات " جابر بن حيان " فى الكيمياء ، " والخوارزمى " فى الجبر ، " و البستانى " فى المثلثات لم يصر بذلك عربيا ولا مسلما ، ومن ناحية أخرى فما يعز الإسلام أن يكون بينه ، وبين النظم والعقائد الأخرى مشابهة أو موافقة ، لأنه لن يزيد فضلا ، ولا كمالا بهذه النسبة وإنما كماله المطلق فى نسبته إلى صاحب الكمال المطلق – وهو الله تعالى – لأن الله وحده هو الذى يشرع الأحكام فى كل شىء فى الإسلام ، وسائر الأنظمة الوضعية تقوم على أساس أن المشرع هو الإنسان فهو الذى يشرع لنفسه وهما قاعدتان متناقضتان لا تلتقيان بتاتا .

ولقد يحدث فى تطور النظم البشرية أن تلتقى بالإسلام تارة وأن تفترق عنه تارة ومع ذلك فهو نظام مستقل متكامل لا علاقة له بتلك النظم إلا حين تلتقى معه ، ولا حين تفترق عنه ، فهذا الافتراق ، وذلك الالتقاء عرضيان ووليدة مصادفات وفى أجزاء متفرقة ولا عبرة بالاتفاق أو الاختلاف فى الجزئيات والعرضيات ، وإنما المعول عليه هى النظرة الأساسية ، والتصور الخاص ، وللإسلام نظرته الأساسية ، وتصوره الخاص وعنه تتفرع الجزئيات فتلتقى أو تفترق معه جزئيات من النظم الأخرى ثم يمضى الإسلام فى طريقه المتفرد لأن قاعدته الأساسية التى يقوم عليها تختلف كليا عن القواعد التى تقوم عليها الأنظمة البشرية جميعا .

وبناء عليه فإننى أنبه إخوة الإسلام ، وأشقاء الإيمان وأحذرهم من إضفاء أى صفة أو مصطلح على أحكام الإسلام يغاير فى نظرته الأساسية نظرة الإسلام الأساسية ، فالحريات التى تقوم عليها الأنظمة الديمقراطية لا وجود لها فى الإسلام أصلا لأن الحرية فى الإسلام هى فقط تحرير الإنسان من عبودية الحجر والبشر إلى عبودية إله الحجر والبشر فلا حرية شخصية فى الإسلام بمعنى أن الإنسان حر فى شخصه يزنى ويلوط يفعل بشخصه ما يشاء ويريد ، وذلك لأن الإسلام يجلد الزانى غير المحصن ، ويرجم إن كان محصنا ، ويقتل الفاعل والمفعول فيه .

قال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » [سورة النور آية ٢] .

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال – كما أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » .

ولأن النبى صلى الله عليه وسلم قال – كما أخرجه أحمد والأربعة – عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ، ومن وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة » .

فأية حرية شخصية فى الإسلام إذن ؟ ..

ولا حرية عقيدة فى الإسلام بالمعنى الديمقراطى : بمعنى أن الإنسان حر فى عقيدته يحرفها ، ويبدلها ويغيرها ويرتد عنها حسبما يشاء ويهوى ولو خالف الحق ، وجانب الفطرة .

قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١) .

ولقول النبى صلى الله عليه وسلم كما أخرجه البخارى « من بدل دينه فاقتلوه » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم أيضا كما أخرجه الشيخان : « لا يحل دم أمرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »

ولأمره صلى الله عليه وسلم بقتل المرأة المرتدة كما أخرج الدارقطنى : « أن امرأة يقال لها أم مروان ارتدت عن الإسلام فبلغ أمرها النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر أن تستتاب ، فإن تابت وإلا قتلت » .

ولا حرية رأى فى الإسلام : لأن الإسلام يوجب على أتباعه التقيد بالفضائل والابتعاد عن الرذائل ، ويأمر بالمعروف ويثيب عليه وينهى عن المنكر ويعاقب عليه ، فلا قذف وبهتان باسم حرية الرأى لأن الله تعالى يقول : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » (٢)

ولقوله تعالى أيضا : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » (٣) .

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » متفق عليه .

ولا حرية ملكية فى الإسلام : لأن الإسلام حدد طرقا مشروعة لاكتساب الرزق لا يجوز الخروج عنها ، والتنكب عن جادتها .

فلا ربا ، ولا احتكار ، ولا غش ، ولا غرر ، ولا نجش ، ولا خلابة ولا تصرية ★ ولا تجارة فى الخمور ، ولا سمسرة فى الفجور والعهور لدينا .

قال تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

★ التصرية : جمع اللبن فى الضرع يقال : صرى اللبن فى ضرع الشاة بالتشديد والتخفيف.

(٢) سورة النور آية ٤ .

(٣) سورة النور آية ٢٣ .

(٤) سورة المائدة آية ٢٧٥ .

و لقوله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه الشيخان فى الربا : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم : « من احتكر فهو خاطىء » ولقوله : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم . كما أخرجه الترمذى فى الغش عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على صبرة من طعام فأدخل يده فنالت أصابعه بللا ، فقال : يا صاحب الطعام ، ما هذا ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ ثم قال من غشنا فليس منا » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم – كما أخرجه ابن ماجة فى الخلابة والتصرية فى سننه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « بيع المحفلات خلابة ، ولا تحل الخلابة لمسلم » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه الشيخان – فى التصرية : « لا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد فإنه يخير النظر من بعد أن يحتلبها إن شاء أمسكها وإن شاء ردها وصاعا من تمر » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم فى النجش وغيره كما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تلقوا الركبان ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، ولا تناجشوا ، و لايبع حاضر لباد » .

ولقوله صلى الله عليه وسلم فى الخمر كما أخرجه الترمذى عن ابن عباس : « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله لعن الخمر ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وشاربها ، وبائعها ، وساقيها ، وأشار إلى كل معاون عليها ، ومساعد فيها » .

ولا شورى فى الإسلام بالمعنى الديمقراطى بمعنى أن رأى أكثر الناس ورغباتهم لها الكلمة العليا على الأمة ، فلا شورى فى الإسلام إلا فى المباحات وما عدا ذلك فالاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم فى أوامرهما ونواهيهما هى طبيعة الإسلام .

قال تعالى : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » (١)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يدركون أن لا شورى فيما أمر الله به أو نهى عنه ولذلك قال الحباب بن المنذر بن الجموح فى غزوة بدر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله أر أيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ »

---

(١) سورة الشورى آية ٣٨ .

قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فانهض بالقوم حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ثم تغور ما وراءه من القُلُب ثم نبنى عليه حوضا ونملؤه ماء ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون » (١) .

وذلك كما ذكرت لأن السيادة والمشرع فى الإسلام هو الله ، والسيادة والمشرع فى الديمقراطية وغيرها هو الآن من البشر .

ولذلك فالإسلام هو الإسلام فقط الصادر من الله العلى الكبير نقدمه للناس باسم الإسلام والإسلام وحده دونما تحريف ولا تبديل ولا تغيير ونصدع به صدعا كما أمرنا الله تعالى وكما سنه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بدل مجتمعه الجاهلى إلى مجتمع إسلامى تبديلا كليا .

نعم : لقد تبدل المجتمع الجاهلى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظلم الاجتماعى إلى النظام الإسلامى الذى يزن بميزان الله ، وتطهرت النفوس ، وزكت القلوب والأرواح ، وخشعت الجوارح والأفئدة لله وحده .

ولقد تم هذا كله لأن موقف الإسلام كان مجابهة الكفر وتحطيمه وبناء عقيدة التوحيد فى نفوس الناس وفى سويداء قلوبهم وفى حياتهم خلقا وعبادة وسلوكا .

هذا هو موقف الإسلام من المجتمع الجاهلى فهو ليس فقط تغيير عقيدة الناس فحسب بل ولكن كذلك تغيير منهج تفكيرهم ، وقيمهم ، ومثلهم ، ومناهج حياتهم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء برسالة الإسلام سافرا متحديا كل الجاهلية متحديا العقائد الجاهلية والعادات والتقاليد ، والأفكار السقيمة ، والمفاهيم المغلوطة ولم يقبل صلى الله عليه وسلم من وفد ثقيف أن يدع لهم صنمهم اللات ثلاث سنين لا يهدمه ، وأن يعفيهم من الصلاة على أن يدخلوا فى الإسلام ، ولم يقبل أن يدع اللات سنتين أو أشهرا كما طلبوا بل أبى ذلك كل الإباء وكان إباؤه حاسما لا تردد فيه .. ولا هوادة لأن الإنسان إما أن يؤمن وإما أن لا يؤمن لأن النتيجة إما الجنة وإما النار .

ولذلك كان حراما أن نحاول المصالحة مع الجاهلية والمداهنة لها والتنازل عن رسالتنا لتلبية رغبات جاهلية أو أن نحاول تغيير حقيقة الصراع الذى هو بين الإسلام والجاهلية .

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (٢) .

« ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » (٣) .

ونحن لا ندعو الناس إلى الإسلام لننال منهم أجرا ، ولا نريد علوا فى الأرض ولا فسادا ، ولا نريد شيئا خاصا لأنفسنا إطلاقا ، وحسابنا وأجرنا على الله الذى فرضها

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ و ٤ .
(٢) سورة الكهف آية ٢٩ .
(٣) سورة آل عمران آية ٩٧ .

علينا فريضة محكمة وبين لنا طريقة القيام بها فلا يجوز التنكب ولا الحيد عنها قيد شعرة .

– إنه إذا كان هناك من يحتاج للدفاع عن الإسلام والاعتذار والتبرير والخجل من عرض أحكامه فليس هو الذى يقدم الإسلام للناس وهو ينهزم أمام ذلك النتن الكريه الذى تعيش فيه الجاهلية .

– إن أصحاب الدعوة الإسلامية هم أصحاب الاستعلاء بالإيمان على جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان .

– الاستعلاء مع ضعف القوة ، وقلة العدد وفقر المال أمام قوة باغية وتشريع باطل هو الذى يطالبنا الله فيه بالاستعلاء بقوله :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

هكذا استعلى المغيرة بن شعبة أمام صور الجاهلية وأوضاعها فى معسكر رستم قائد الفرس المشهور :

عن أبى عثمان النهدى قال : لما جاء المغيرة إلى القنطرة ، فعبرها الى أهل فارس أجلسوه ، وأستأذنوا رستم فى إجازته ، ولم يغيروا شيئا من شارتهم تقوية لتهاونهم ، فأقبل المغيرة بن شعبـة ، والقوم فى زيهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشى عليها غلوة إلى مسافة « أربعمائة خطوة » وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشى حتى جلس على سريره ووسادته فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ومغثوه (أى صرعوه) فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم ، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ، ولم آتكم ولكن دعوتمونى ، واليوم علمت أن أمركم مضمحل ، وأنكم مغلوبون ، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول .

كذلك وقف " ربعى بن عامر " مع رستم وحاشيته قبل وقعة القادسية « أرسل سعد بن أبى وقاص قبل القادسية " ربعى بن عامر " رسولا إلى رستم ، قائد الجيوش الفارسية ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابىّ ، وأظهرت اليواقيت واللآلىء الثمينة وعليه تاجه ، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ودخل " ربعى " بثياب صفيقة ، وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبا حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه وبيضته على رأسه فقالوا له :ضع سلاحك . فقال : إنى لم آتكم ، وإنما دعوتمونى فإن تركتمونى هكذا وإلا رجعت فقال رستم : ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق لخرق عامتها فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبـادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام .

وتتبدل الأحوال ويقف المسلم موقف المغلوب المجرد من القوة المادية ، فيجب أن لا يفارقه شعوره بانه الأعلى ، وينظر إلى غالبه ماديا من علٍ ما دام مؤمنا بالله ويستيقن أنها فترة وتمضى وأن كرة للإيمان لا مفر منها ، وهبها كانت القاضية ، فلا يحنى رأسا لغير الله. إن الناس كلهم يموتون أما هو فيستشهد وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنـة وهو يسمع نداء ربه :

« لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار » (١) .

وقبل أن أختم محاضرتى أود الإجابة عن سؤال وجّه إلىّ حول مشـــكلة لبنان وأحداثها ويحبذ السائل الكريم باجتماع النصارى والمسلمين ويرغب بالصلح بينهما ويستفسر عن علاقة المسلمين بالنصارى وكيفيتها فى رأيى الشخصى ؟

أقول : إن الأمر أكبر من أن يفتى فيه بالرأى ، إنه أثقل فى ميزان الله من أن يعتمد فيه المسلم على رأيهِ إنما هو قول الله سبحانه ، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم نحكمه فى هذا الشأن ، ونرجع فيه إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم ، كما يرجع الذين آمنوا إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم فيما يختلفون فيه .

يوضح الله سبحانه وتعالى الهدف الصليبى للنصارى واليهود فى علاقاتهم مع المسلمين بصفة عامة بقوله جل شأنه :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير » (٢) .

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهـدى ولئن اتبعت أهـواءهم بعد الذى جاءك من العـلم ما لك من الله من ولى ولا نصير » (٣) .

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » (٤) .

وآيات كثيرة تحدد الهدف الصليبى فى علاقة النصارى واليهود بالمسلمين ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه جابر بن عبد الله رضى الله عنه : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى » .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٦ .
(٢) سورة البقرة آية ١٠٩ .
(٣) سورة البقرة آية ١٢٠ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٠٠ .

وحين يتحدد الهدف النهائى للنصارى واليهود فى شأن المسلمين على ذلك النحو القاطع الذى يقرره الله سبحانه يكون من البلاهة والسذاجة وظلم النفس الظن لحظة واحدة بأن النصارى واليهود يصدرون فى علاقاتهم مع المسلمين عن نية طيبة فى أى موقف من المواقف المتعلقة بالعقيدة والإسلام سواء من حيث تاريخه أو نظامه أو سياسته أو اقتصاده أو إرادته .. إلخ .

والذين يظنون غير ذلك بعد تقرير الله سبحانه ، إنما هم الغافلون ، ومن الجدير بالذكر أن الصليبية قد اتخذت لبنان مقرا لضرب معاقل الإسلام وهدم قلاع الإيمان وجعلته مركز سم ناقع حول الآلاف من أبناء المسلمين إلى حملة أفكار ومفاهيم تناقض عقيدة التوحيد ومفاهيم الإسلام مناقضة جذرية ، وتمزق أواصر الأخوة بينهم ، وقد استغل الصليبيون بعض مفكرى العرب وأكثرهم من النصارى وأجراء الكفر من المسلمين لتشويه الإسلام ، وإعداد القوة للقضاء عليه ، وأوجدوا لهم جمعيات ومنظمات أعدوها وجهزوها ، واستعملوها كلما حانت الفرصة لاستعمالها كفرصة اليوم مثلا ، ومن هذه الجمعيات التى أقيمت لمحاربة حضارة الإسلام . جمعية الفنون والعلوم ، ومنها بطرس البستانى ، وناصيف اليازجى ، والجمعية الشرقية ، والجمعية العلمية السورية ، وجمعية الإخاء العربى ، وجمعية الإصلاح العام ، والمنتدى العربى ، والجمعية القحطانية والنادى الوطنى ، والجمعية السرية ومن أفرادها " بيير الجميل " رئيس حزب الكتائب الذى أعلن قبل ساعات فقط قائلا : إننى أمرت طلائع الكتائب أن على كل أسير مسلم أن يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأن يسب القرآن بمجرد أسره من قبل الكتائب ... ؟

ومن الغريب حقا أنى لم أسمع من زعيم من زعماء القتال أو رئيس من رؤساء العالم الإسلامى يذكر أن الصراع فى لبنان بين كفر وإيمان ، وبين إسلام ولا إسلام ، وبين مشركين وموحدين ، كل ما سمعته أن الصراع ما بين اليمين واليسار ، ما بين يمين اليمين ويسار اليسار .

ترى أتخجل زعامة القتال فى لبنان ، ورئاسة الدول فى العالم الإسلامى أن يعلنوا القتال باسم الإسلام وتحت راية محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ترى أتستحى زعامة القتال فى لبنان وغيرها أن تطلب النصرة من الله عز وجل ، وأن تجعل أخوة الإيمان بينها وبين الأمة العريضة هى الأساس فى نجدتها ، ومعونتها ، ودعمها ، وتأييدها ..

يا إخوة الإيمان :

فى هذه الأيام العصيبة ، وسحب المصائب تتكاثف ، وسهام المحن تتوالى ، وأقطار الإسلام فى المشرق والمغرب مثخنة بالجراح ، محرومة من الارتياح .

نرى رأى العين أن عملاء الكفر هم الذين يسيرون أمور المسلمين فى شتى أنحاء العالم الإسلامى ..

فى قبرص المسلمة التى فتحها المسلمون فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان بدمائهم وأرواحهم .

فى فلبيين الدامية التى كانت راية الإسلام تظللها قبل أن يتولى أمرها حكام اليوم .

فى الصومال الإسلامية ، والتى يتباهى حاكمها بأنه ماركسى قبل كونه مسلما .
فى أريتريا الذبيحة التى يصب على مسلميها الحقد الدفين الصليبى بكل أنواع القمع والنكال .

فى فلسطين الجريحة التى تتقلب فى قبرها ودماء الشهداء تموج فى أرضها . ونجدة المسرى ، واستغاثة الأقصى تبعث الأسى بين جنباتها ، وأنين اليتامى وعويل الثكالى تنشر الأسى بين أضلاعها ، وفى شتى أنحاء العالم الإسلامى المنكوب بالكوارث والطامات ، مأساة سجلت على الأمة الإسلامية عارا وشنارا لا يمحوه كر الأيام ، ولا تعاقب الأعوام ، لن يرحم التاريخ عندما يكتب ضروب الذلة وأصناف الهوان والمسكنة التى نعيشها اليوم هذه المأساة لن نلجأ إلى حلها ، ولن نتوجه لنجد لنا مخرجا منها .. بعد أن عرفنا أن كل ما نلتجىء إليه من مجلس أمن ، وهيئة أمم ، ومحكمة عدل وما شابهها كلها تحمل العداء الدفين والحقد والبغضاء لديننا وأمتنا وحضارتنا ، وتراثنا .

إنه ليس لنا من ملجأ لكشف حزنا إلا إلى من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ألا وهو الله تعالى وحده ، إنه ليس على المسلمين إلا أن يثقوا أن الله وليهم القدير لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وأنه لن يترك أولياءه إلى أعدائه ، ونصراء دينه إلى هادمى شرعته ، وأنه لا يرد دعاء من دعاه قائلا : « أنى مغلوب فانتصر » .

إن الواقع المرير الذى نحياه يتطلب منا أن ننظر نظرة أخرى فى منهجنا فى الحياة وفى صراطنا الذى نسير عليه: هل هو صراط الله أم صراط أعدائه ؟ هل هو سبيل الله أم سبيل الشيطان ؟

إن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلاهالك، قد رسم لنا خطا على الرمل مستقيما، ورسم خطوطا جانبية وقال: هذا صراط الله . وهذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان ثم قرأ قوله تعالى :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل . » (١) .

إن فى اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفى الدعوة للإسلام دواء لدائنا وترياقا لمصائبنا ، إن المراحل التى سار عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، والنهج الذى اتبعه والذى نقل فيه أمته من رعاة الغنم إلى قادة الأمم والذى جعل فيه

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

السيف المسلول على الملحدين سيفا لله مسلولا على المشركين ، واليد الباطشة لإرضاء الشيطان يدا تبطش لإرضاء الرحمن ٠

هذه المراحل والمناهج والخطوات التى أوحى الله بها لنبيه صلى الله عليه وسلم فباتباعها تكمن عزتنا ونصرتنا ، وإنقاذنا من الشرور والويلات والكوارث التى حلت بنا ٠٠

ولا حجة لنا فى محكمة قاضيها رب العالمين إذا تركنا ظلال الشيطان فوق رؤوسنا وما أبدلناه لظلال الرحمن ، وركنّا للذين ظلموا وبغوا وعصوا الله ورسوله ٠

ولا عذر لنا أمام الله إذا سألنا : يا عبادى لم كانت العـــــزة فى دياركم لغيرى ولسواى وسكتم؟ولم احتكمتم للطاغوت ولم تحتكموا لشريعتى التى أنزلتهـا حـكما بينكم؟٠

فما أحرانا يا إخوة الإسلام أن نتخذ من محمد صلى الله عليه وسلم مشــعل نور نهتدى بضيائه ونسير على نهجه ونأتسى بدعوته ، ونقتدى بجهاده وكفاحه ، ونضاله ، وصبره ، وتحمله ، وهجرته ، وبيعته ، وإقامته لدول الحق ، ولصرح الإيمان والقرآن ٠

وفى الختام : أبتهل إلى الله تعالى وأتضرع إليه أن يكشف الكربة عن هذه الأمة ، وأن يزيل عنها كابوس الظلم والطغيان ، وأن يلهمها طريق الهدى والرشاد والجهاد ٠

كما أتضرع إليه تعالى أن يأخذ بيد الذين اتخذوا من محمد صلى الله عليه وسلم نبراسا يستضيئون بنوره ، ومنهجا يسيرون على هديه ودعوته وسيرته ٠٠

وأن يتداركنا بفرجه العاجل ونصره القريب وعند ذلك يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم ٠

وآخر دعواى : أن الحمد لله رب العالمين ٠٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

فهرس
الردة وخطرها على المجتمع الإسلامي

فهرس موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي